



الغروب على النيل

[ تصوير الدكتور احمد موسى ]



# المقتطف

الجزء الرابع من المجلد التاسع والتسعين

١ نوفمبر سنة ١٩٤١

١٢ شوال سنة ١٣٦٠

## حصاد الصيف

١ - ما يكتنه المستقبل للانسان

يلوح لعلماء طبقات الأرض ، ان موارد الأرض الطبيعية تكفي لمعيشة الناس جميعاً معيشة رخيصة على سطح الأرض مدى الف سنة مقبلة . فإذا يكتنه المستقبل للبشر ؟ إن أسلاف الانسان الذين يمتنون اليه بصلة القرى عاشوا على الأرض من ثلاثمائة الى أربعمائة الف سنة وأما النوع الانساني المعروف باسم « هوموسابينز » فليس وراءه الا خمسون الف سنة من الحياة . وفي تاريخ الاحياء على سطح الأرض دول من النبات والحيوان نهضت من أصل وضع الى منزلة التفوق والسلطان واحتفظت بمنزلتها مدى قصيراً من الزمان ، بالقياس الى الزمن الجيولوجي ، ثم دالت وانقرضت

فالتطور لا يضمن التقدم ولكنه يضمن التحول والتغير . وقد يكون التحول تقدماً أو تأخراً وذلك يختلف باختلاف احوال الزمان والمكان وحيوية الأفراد . والأنواع الحيوانية التي تمكنت في غابر الزمان من الاحتفاظ بكيانها مدى مليونين او ثلاثة ملايين من السنين قليلة . وكان معظمها من الأنواع البسيطة التركيب . وكان كثير منها يقطن البحر حيث أحوال الحياة مستقرة مدى أزمان طويلة لا تنالها يد التقلب والتغير

أما ذلك القسم من الاحياء الذي ينتمي اليه الانسان فلسنا نجد بين انواعه نوعاً واحداً يمر بهذا التعمير . وإذا استثنينا احوالا خاصة من العزلة الجغرافية فليس ثمة نوع استمر



أكثر من مليونين أو ثلاثة ملايين من السنين . ومهما تكن الدرجة العالية التي بلغتها هذه الأحياء من النجاح في ملائمتها محيطها ، تناسلاً وانتشاراً في مناكب الأرض فإنها لم تلبث حتى انقرضت بعد حياة قصيرة بالقياس إلى الزمن الجيولوجي . ولعلَّ معدل حياة الأنواع في هذا القسم من الأحياء لا يزيد على خمسمائة ألف سنة

فإذا كان نصيب الجنس البشري من الحياة هو المعدل فأمام البشر نحو خمسمائة ألف سنة من الحياة قبل انقراضهم أو تحولهم إلى نوع أرقى بالملاءمة والتحول . ولكن هل يجب أن ينطبق المعدل عليهم ؟ هل على البشر أن يخرجوا من ساحة الحياة من الباب الذي خرج منه الدينوسور ؟

حاولت قوة الحياة في معظم الحيوانات ضمان البقاء لهذه الحيوانات بالتخصص في الملاءمة بين تركيبها وطبائنها وعاداتها من ناحية وبين المحيط الخاص الذي تعيش فيه من ناحية أخرى . أما الإنسان فمختص في الملاءمة بين تركيبه وطبائنه من ناحية وبين أنواع شتى من أحوال البيئة الطبيعية والاجتماعية . فليس ثمة حيوان فقري آخر يستطيع أن يعيش كما يعيش الإنسان في المناطق المتجمدة الجنوبية ( حول القطب الجنوبي ) أو في ادغال البرازيل ، تحت سطح الماء أو في أطباق الهواء العليا

ثم إن الإنسان في مقدمة الأحياء من حيث قدرته على تحويل البيئة وفقاً له . فهو أرفع من القدس والنمل في ذلك . ينزح البطائح والآجام ويروي الصحاري ، ويحفر انفاقاً في الجبال ويبني جسوراً لعبور الأنهر ويشق ترعاً ويكيف الهواء الذي يتنفسه في البيت والمكتب والمعمل . والواقع أن هذه الملاءمة لأحوال البيئة ، تتحقق بتغيير عناصر البيئة على الأكثر ، لا بتحويل في أعضاء الجسم أو وظائفها الأساسية . فعند ما نصعد مع الماجور ستيفنز إلى طبقة الطخاير ( Stratosphere ) أو نفوس مع بيب خمسمائة قامة تحت سطح البحر قرب جزائر برمودا ، أو نعيش مع الاميرال برد على الجمد طوال الليل القطبي الجنوبي في « اميركا الصغيرة » ، فنحن نأخذ معنا نموذجاً من الأحوال المألوفة على سطح البحر . فهو يثبتنا المعتادة في حال ، كانت لولاه لا تطاق

ومع أن علمنا بأحوال البيئة في العصور الغابرة لا يزال علماً قاصراً ، فليس هناك ريب ، في أن الحيوانات التي ارتفعت ثم دالت دولتها ، إنما انقرضت بفعل تغيير ما أو أكثر في بيئتها ، وإن وجوه التغيير هذه جاءت فجأة على الغالب فتعذر على هذه الحيوانات الفوز بالملاءمة اللازمة لها قبل فوات الأوان . أما الإنسان فيجب ألا يخشى شيئاً من هذه الناحية ومن الواضح أن غزو الإنسان محيطه ، نشأ عن براعته في استعمال الأشياء . فإذا انقطع



سيل القطن والكتان والصوف والفحم والحديد والنفط والنحاس والرصاص والقصدير من الأرض إليه ، غداً ضعيفاً حقيراً . فقدرة على استعمال بعض موارد بيئته مكنته من التحرر من قيود تلك البيئة . فهل هذه الموارد كافية لتجهيزه بما يحتاج إليه ، مدى غير محدود من الزمن للمحافظة على لون البيئة التي ألفها ؟

\*\*\*

في الطبيعة مصدران أصيلان لما يحتاج إليه الإنسان من مواد و طاقة ، في سبيل تقويم الحياة التي ينشدها . هناك في الناحية الواحدة المزرعة والشلال ، وفي الناحية الأخرى المنجم والحجر . فالأشياء التي تنمو في الحقل والخرج ، والطاقة التي تولد من الماء المنحدر ، تدخل في باب الإيراد السنوي من موازنته الأرضية . أما وقد أتاح لنا البحث العلمي معين الترويجين الذي لا ينضب في الهواء ، لاستعماله في تركيب الاسمدة ، فوارد الحياة النباتية قابلة للتجديد . اننا نستعملها ولكننا لا نحشى نفادها . ويقابل هذا ان الموارد المعدنية ، التي مردّها الى المناجم والمحاجر ، لا تتجدّد فهي من الموازنة في باب رأس المال المدّخر وقد تكونت وتجمعت مواد النفط والفحم والنحاس والحديد والرصاص والنيكل وغيرها مما هو من قبيلها ، بفعل الطبيعة الأرضية على مرّ العصور . وهي مواد لا غنى للحضارة الحديثة عنها ، وبفعل التقدم العلمي والصناعي في استعمالها قد يستنفدها الإنسان في مئات من السنين او في بضعة الوف على الأكثر . وهذه الحقيقة التي لا يستطاع جحدها ، هي السبب الأصيل في الضائقات الاقتصادية والحروب ونزاع الطبقات

ولدى العلماء تقدير على جانب غير يسير من الدقة ، لما تحتويه الأرض من موارد لا تتجدّد موادّها . فالحزون في الأرض من معظم هذه المواد التي لا تتجدّد ، يفوق اضعاف اضعاف ما يستهلك كل سنة . والحزون من البقية المعرّضة للنفاذ ، كالنفط ، عندنا بديل منه في مقادير تكفي الفين او ثلاثة آلاف من السنين ( النفط المولّد بالاصطناع من الفحم ) . فالبشر غير معرّضين حالاً لنفاذ الخامات الأساسية ، اذا نظرنا الى الأرض نظرة شاملة ، وعلى شريطة ألاّ تزيد المقادير التي نستنفدها منها زيادة كبيرة سريعة

ولكن هل من المحتمل ان يزداد الطلب على المواد غير قابلة التجديد ، زيادة كبيرة في المستقبل ، فتفضي الى نفادها سريعاً ؟

اذا تذكرنا ان « سكان هذا الكوكب السيار » زادوا في خلال القرون الثلاثة الأخيرة خمسة اضعاف ، فهناك ما يحشى من هذه الناحية . ولكن دراسة الاتجاهات العامة في زيادة السكان تسفر عن القول بأنّه لا يحتمل ان يزيد عددهم في خلال بضعة القرون المقبلة على وجه يشبه



زيادتها في بضعة القرون الحالية . واذا لم يطرأ تغير على اتجاهات زيادة السكان في الولايات المتحدة فعددهم يبلغ اقصاه حوالى سنة ١٩٥٠ اذ يصبح ١٥٠ مليوناً . ولا ينتظر ان يزيد عددهم بعد ذلك الا اذا كثر المهاجرون الى الولايات المتحدة من بلدان اخرى

وهناك ما يبعث على القول بأن عدد الشعوب البيض يبلغ اقصاه في الثلث الاخير من القرن العشرين ، وبأن عدد سكان الارض قاطبة يبلغ اقصاه في اواخر القرن الحادي والعشرين . ومع ان عدد افراد الأسرة البشرية تضاعف منذ سنة ١٨٦٠ فلا يحتمل ان يبلغ عددهم ضعفى عددهم الآن وهو ألفا مليون

فزيادة الطلب على المواد غير القابلة للتجديد ، لن يشتد نتيجة لزيادة السكان في المستقبل القريب . وما تبيحه لنا الارض من مواردها الطبيعية اعظم كثيراً مما نظن ولكن هناك سبب آخر يحملنا على القول بان ما يستنفد الآن من المواد غير القابلة للتجدد لا يصح ان يتخذ مقياساً لمدى اعتمادنا على موارد الارض . فالطلب على السيارات والتلفونات وأجهزة الالتقاط اللاسلكي والطائرات وغيرها ليس موزعاً توزيعاً متساوياً على شعوب الارض وليس هناك الا فئة يسيرة من البشر تستعمل هذه الاجهزة استعمالاً واسع النطاق . واما سائر الشعوب فلا تستعملها مطلقاً او لا تستعملها إلا استعمالاً يسيراً جداً . ولا ريب في ان نطاق استعمالها إياها سيزداد ازدياداً مطرداً . واذا لم يرتد البشر الى حالة الهمجية فطلب البشر على المواد غير قابلة للتجدد سيزداد ضعفين او ثلاثة اضعاف ، ولو لم يزد عددهم إلا بقدر

\*\*\*

من نحو مائة سنة كان ثمانون في المائة من الاشياء التي يطلبها الناس ويستعملونها تصنع من مواد ينتجها الحقل . وكان معظم الطاقة التي ينفقها الناس في قضاء حاجاتهم مردّها الى عضل الانسان والماء المنحدر . اما الآن فثلاثون في المائة لا غير من هذه الاشياء يرجع الى ما ينمو في الحقل . ومعظم الطاقة المستنفدة يرجع الى النفط والفحم . وقد كان اتجاه البشر بوجه عام خلال هذا القرن المنصرم الى الإقلال من الاعتماد على الايراد السنوي ، والاكتثار من الاعتماد على رأس المال المدخر

ولكننا الآن على عتبة انقلاب في هذا الاتجاه . فمحركات السيارات تصنع من فول الصويا ، ومضارب « البيان » من جن الكوخ ، وعشرات بل مئات من الاشياء والادوات تصنع من العجائن المستخرجة من قوالب الذرة والبرسيم والوف من الاشياء التي تحل محل ما يقابلها من الادوات المعدنية ، تصنع الآن من نتاج الحقل . والطاقة تنقل كهرية



مدى مئات الاميال بعد توليدها من الماء المنحدر. اي ان الانسان بدأ يعدل عن استنفاد المواد غير قابلة التجدد ، الى استعمال مواد تتجدد كل سنة في الحقل سواءً أنباتية كانت أم حيوانية . انه عدل عن تبذير ماله المدخر الى استعمال دخله السنوي ! ولا بد ان يكون لهذا التحول تأثير عظيم في الخطط السياسية والاحوال الاجتماعية . انه يقلل الضغط في سبيل السيطرة سيطرة سياسية على مناجم الفلزات وحقول الفحم وآبار النفط ، فتزول بذلك طائفة كبيرة قوية من أسباب النزاع الدولي . ان العلم بدأ يحى فينا الأمل بأن في وسع الانسان ان « يطبع ميوغه مككاً ورماحه مناجل »

دل تكفي الأرض الخصبة لانتاج كل ما يحتاج اليه الناس من طعام وكل ما تحتاج اليه الصناعة الحديثة لصنع هذه الأشياء الجديدة من البرسيم والذرة وفول الصويا وما أشبهه ؟ والجواب بالاجاب ، لامواردية فيه ولا غموض . ان الباحث العالم برنال Bernal يقول ان زراعة الفئ مليون فدان وفقاً لاساليب الزراعة العلمية الحديثة المتبعة في بريطانيا الآن، تكفي لانتاج طعام يكفي جميع سكان الأرض . وهذه المساحة هي نصف المساحة المزروعة الآن ولا تزيد عن ١٢ في المائة عن مساحة سطح اليابسة على الأرض . ولم يدخل برنال في حسابه هذا ما يحتمل في المستقبل من زيادة غلة الفدان باتقان أساليب التسميد والبذر والجني وغيرها . وتحسين انواع النباتات المزروعة بالاعتماد على وسائل تحسين النسل بالانتخاب والمزاوجة . فليس ثمة باعث يبعث الناس على الخوف . إن زيادة سكان الأرض لن تقضي الى قلة المتاح من موارد الطعام

ولكن هذه الأقوال التي تبعث على التفاؤل مبنية على احصاءات عالمية ولا تصدق الا على الأرض اجمالاً ، أي انها لا تصدق اذا طبقت على اقتصاد دولة ما بعينها . فليس ثمة دولة من الدول الحديثة تشمل داخل حدودها طائفة من التركيبات الجولوجية تكفيها للفوز بجميع انواع الركاز المعدني اللازمة في الأعمال الصناعية الحديثة . وليس بينها دولة تشمل أنواعاً مختلفة من الأقليم تمكنها من ان تنتج في مزارعها وتتناول من حراجها كل ما تحتاج اليه من المحاصيل النباتية . فالدول الآن تعتمد بعضها على بعض ، ومن المحتمل ان تبقى كذلك مدة طويلة الى المستقبل . والمسألة الكبرى التي يواجهها القرن العشرون هي هذه : — كيف نستطيع ان ننظم الفئ مليون او ثلاثة آلاف مليون نسمة تنظيماً يربطها بعضها ببعض ويمكنها من توزيع موارد الأرض توزيعاً عادلاً ، وهي كما قدمنا موارد كافية ولكنها غير موزعة توزيعاً متساوياً . فواضح ان ما يكنه المستقبل للانسان مرتبط بمعرفة الجواب الصحيح عن هذا السؤال وتطبيقه

( عن الاستاذ مايندر استاذ الجولوجية بجامعة هارفرد )



## ٢ - زيت صلب كالفولاذ

أثبتت المباحث الطبيعية الحديثة ان لا قبل للعلم بفهم المادة فهماً صحيحاً إلا اذا عرف رجاله تأثير الضغط العالي في ذراتها وجزيئاتها . ذلك بأن ٩٩٨ ر في المائة من مادة الأرض و ٩٩٧ ر ٩٩ في المائة من مادة الشمس خاضعة لضغط يزيد كثيراً على ألف ضغط جوي على البوصة المربعة . ولذلك قال الأستاذ ولبولد ان تطبيق مباحث الضغط العالي قد تنطوي على مغزى جديد وهو ان للطبيعة الكونية والكيمياء الكونية نواميس وقواعد قلما نعلم منها شيئاً الآن . ففي عالمي الطبيعة الكونية والكيمياء الكونية ، تفقد النواميس الطبيعية والكيميائية التي استخرجها العلماء على سطح الأرض كل معنى . كانوا يظنون انهم يعرفون كيف تتصرف الغازات اذا عرضت للضغط العالي ولكن عند ما استطاعوا تعريضها للضغط العالي وجدوا النتائج بخلفة الظن . وكلما ارتفع الضغط اتسع الفرق بين النظر والحقيقة

إن الحياة على سطح الأرض تحدث بين حدود ضيقة من الحرارة والضغط . نعم ان بعض الأحياء ذات الخلية الواحدة تستطيع ان تتحمل درجات عالية من الضغط والحرارة . ولكن هذا نادرٌ . وقد كان العلماء يجهلون الى عهد قريب تأثير الضغط العالي في المادة والأحياء لأنه كان من المتعذر صنع أجهزة تمكن العلماء من توليد ضغط عالٍ يبلغ ٣٠ ألف ضغط جوي . ونحن نعلم ان ضغط الهواء على سطح البحر يبلغ نحو ١٥ رطلاً على البوصة المربعة . فيرفع عموداً من الزئبق ثلاثين بوصة في أنبوب مفرغ . وهذا المقدار من الضغط يستعمل وحدة للقياس فيقال « ضغط جوي » او « جو » و « ألف ضغط جوي » أو « ضغط ألف جو »

فكيف يؤثر الضغط العالي في خواص المادة ؟

هناك درجات من الحرارة تذوب عند بلوغها ضروب المسادة المختلفة او تنصهر . والضغط العالي يؤثر في هذه الدرجة فيغيرها

ففي أواخر القرن التاسع عشر قال جيمز طلمسن شقيق لورد كلفن انه اذا كان هناك مادة تتمدد عند الانصهار او الدوبان فدرجة الانصهار او الدوبان يجب ان ترتفع بازدياد الضغط . اما اذا كانت من المواد القليلة التي تنقلص عند الدوبان او الانصهار - كالماء أو البرزموث أو الغاليوم - فدرجة الدوبان او الانصهار يجب أن تنخفض بازدياد الضغط . وجرب لورد كلفن تجربة امتوقت الاظهار لتأييد رأي شقيقه . انما اعترضته حينئذ صعوبة كبيرة وهي ان قلّة الضغط المتاح له لم يمكنه من تغيير درجة انصهار المواد التي جرب بها تجربته ، او درجة ذوبانها ، إلا تغييراً يسيراً لا يزيد عن جزء من الدرجة . اما الآن وقد غدا في وسع



العلماء ان يعرضوا المواد لضغط أعلى جداً من الضغط الذي كان في متناول كلفن في مكننتهم ان يغيروا درجة الانصهار او الذوبان مئات من الدرجات المئوية. حتى ليستطيعوا ان يجمعوا الزئبق ان يتجمد على درجة من الحرارة هي درجة الماء العالي وذلك بتعريضه لضغط ٢٨ ألف جو اما حالة الماء عند تعريضه لضغط عال فتستوقف النظر خاصة . ما يكون تأثير الضغط فيه اذا مضينا في زيادته زيادة لا حد لها ؟ أتنخفض درجة الذوبان انخفاضاً لا حد له الى ان يصيبه تغير آخر . وهذا الموضوع كان محل نظر وعناية من العلماء بعد اذاعة رأي طمسن وتجربة شقيقه لورد كاشن . الا ان زكن علماء الطبيعة لم يكن كافياً حينئذ ليكنهم من النفوذ الى الحقيقة . وكان عالم يدعى تامان Tammann أول من استعمل ضغطاً قدره ثلاثة آلاف جو في دراسة موضوعات من هذا القبيل فوجد شيئاً يثير الدهشة . ذلك انه وجد ان درجة ذوبان الجمد تو الى الهبوط تحت الضغط المتزايد حتى يبلغ الضغط ٢٢٠٠ جو فتصير ٢٢ درجة مئوية تحت الصفر وهي درجة أبرد قليلاً من برد مزيج الجمد والملح المستعمل عند عمل المشروبات (دندورمة)

ولكن اذا عرض الجمد لضغط اكبر من ٢٢٠٠ جو وحرارة دون ٢٢ تحت الصفر نهاوت بلوراته ونقص حجمه ٢٠ في المائة وانتظمت جزيئاته في بلورات تختلف عن بلوراته المألوفة . وهذا التحول في نظام بلوراته قد ثبت ثبوتاً لا ريب فيه بواسطة الاشعة السينية التي أصبحت وسيلة فعالة لدراسة بناء المادة البلوري . ولا يخفى ان الجمد اقل كثافة من الماء ولذلك فهو يطفو عليه . ولكن اذا عرض الجمد لضغط عال كما قدمنا فان ما يصيبه من نقص الحجم وتحول في تركيبه البلوري يجعله أكثف من الماء السائل فيغرق في الماء . فاذا صح قول جيمز طمسن فهذا الجمد الجديد — الذي يزداد حجمه عند الذوبان وهو على نقىض الجمد العادي الذي ينقص حجمه عند الذوبان — يجب ان ترتفع درجة ذوبانه اذا عرض لضغط عال بدلاً من ان تنقص درجة ذوبانه كالجمد العادي . والتجربة تؤيد هذا القول . الا ان الجمد الجديد يتحول جماً من ضرب آخر اذا فاق الضغط الواقع عليه ٣٥٠٠ جو . وقد وجد العلماء أنهم يستطيعون أن يصنعوا سبعة أصناف من الجمد بموالات زيادة الضغط على كل جديد منها وآخرها ترتفع درجة ذوبانه الى ١٩٠ درجة مئوية عندما يكون معرضاً لضغط أربعين ألف جو . وهي حرارة كافية على ما تعلم لصهر اللحام

فاذا صح هذا على الماء فيجب أن يصح كذلك على البزموت والغالسيوم وهما عنصران ينقص حجمهما عند الانصهار كالجمد العادي عند الذوبان . فهل يتحولان الى صنفين جديدين من البزموت والغالسيوم بزيادة الضغط عليهما حتى يصبغا مواد ترتفع درجة انصهارها بدلاً من أن تنخفض . أي هل يطرأ عليهما التحول الذي يطرأ على الماء ؟ والجواب بالاجاب ولكن هذا التحول



لا يتم إلا بعد تعريض البزموت لضغط قدره ٢٨ ألف جو والغاليوم لضغط قدره ١٣ ألف جو فيلوح من هذه التجارب أن ما نراه من تمدد الماء عند تجمده ليس إلا ظاهرة تصح ما زال الضغط عاديًا فقط . والغالب عند الاستاذ بردجن أن جميع المواد تنقلص عند تجمدها إذا كان الضغط على درجة وافية من الارتفاع

قلنا ان رفع درجة الضغط والمضي في رفعها تدريجاً أفضت الى صنع سبعة أصناف من الجمد وما يصح على الماء يصح على مواد كثيرة . فالبزموت له اربعة أصناف والغاليوم ثلاثة والكافور تسعة ولا يبعد ان تكون احد عشر صنفاً

هذا ولا بد من حدوث هذا التحول في المواد التي في قلب الارض حيث درجات الحرارة والضغط عالية جداً ولا بد ان يكون لها خواص غير الخواص التي نسندها اليها على سطح الارض وهي في حالتها المألوفة . وهذا يعني اننا لا نستطيع ان نتكهن بأحوال المادة في قلب الارض او الشمس إلا بعد دراسة وافية للمادة وهي معرضة لدرجات عالية من الضغط والحرارة على سطح الارض وكيف تتحول

هذه التحولات في المادة وهي معرضة للضغط العالي تزول عند رفع الضغط عنها وترتد المادة الى أصلها . ولكن العلماء وجدوا مادة واحدة يحدث الضغط العالي فيها تحولاً دائماً وتلك المادة هي الفسفور الأبيض . فالفسفور الأبيض مادة غير مستقرة تلتهم من ذاتها عند تعريضها للهواء ولكنها تتحول تحولاً دائماً بعد تعريضها لضغط عالٍ فتصبح سوداء بدلاً من ان تكون بيضاء ثم انها لا تلتهم وتوصل الكهربية بدلاً من ان تقاومها

فتغيير من هذا القبيل يذكي الخيال . ذلك بأنه اذا استطعنا ان نغير الفسفور تغييراً دائماً ونحوله الى مادة جديدة لها خواص مناقضة لخواصها الأصلية ، أفليس في الوسع تحويل غيره من المواد بتعريضها للضغط العالي فنصنع بذلك مواد جديدة لها خواص مرغوب فيها ؟ ثم كيف يؤثر الضغط في حجم المواد ؟ الغاز على ما نعلم يعنو بسهولة للضغط فتستطيع ان تضغط ما يملأ حجرة كبيرة من الهواء في أنبوب عجلة السيارة . أما الماء فقد قلنا في مستهل الكلام انه قابل للانضغاط وان كانت كتب الطبيعة تقول انه ليس كذلك ، وذلك لأن التجارب القديمة الى منتصف القرن الثامن عشر عجزت عن ضغطه بما لديها من لوسائل . ثم هناك الجوامد وهي أقل قابلية للانضغاط من الماء ولكنها تنضغط . فالحديد أقل قابلية للانضغاط من الماء مائة ضعف . ولكن اذا استعمل ضغط قدره ألوف من الاجواء أمكن ضغط السوائل والجوامد ضغطاً يسهل قياسه فالسوائل تقل حجماً تحت الضغوط العالية من ٣٠ الى ٤٠ في المائة . وكل سائل لا بد ان يتجمد بزيادة الضغط الذي يقع عليه . وعندئذ يصبح وهو متجمد شأنه شأن



الواد الجامدة أصلاً من حيث تأثير الضغط العالي فيها . فالجد اذا عرض لضغط قدره ٥٠ الف جوّ كان حجمه ٤٠ في المائة اقل من حجم الماء الذي صنع منه أولاً . والفزات أقل قابلية للضغط من السوائل ولكن التفاوت بينها كبير . فعنصر الكيزيوم مثلاً وهو أشد الفزات قابلية للضغط أسهل انضغاطاً من الماء وينقص الى ٥٠ في المائة من حجمه الأصلي اذا عرض لضغط ٥٠ الف جوّ

ثم ان المقاومة لمريان التيار الكهربائي تقل بارتفاع الضغط الذي تعرّض له المواد حتى لقد تتحوّل المادة غير الموصلة للتيار الى مادة موصلة فالتلوريوم وكبريتور الفضة ليسا موصلين جيدين في الاحوال العادية ولكنهما يصبحان موصلين جيدين تحت الضغط الشديد وايصاهما للتيار الكهربائي ألوف الاضعاف أقوى مما كان . والفصفور ليس موصلاً للكهربية اذا كان الضغط عادياً ولكنه يصبح موصلاً اذا عرض لضغط قدره الف جوّ . ومن المواد ما قد تشد مقاومتها للتيار بارتفاع الضغط

ومن أغرب ما يروى عن تأثير الضغط العالي خاص باختراق الماء ألواح الصلب القاسي والزجاج . فقد روى العالم پولتر في مجلة «الطبيعة المطبقة» انه اذا ارتفع الضغط ارتفاعاً كافياً في الوسع ان يخرق الماء سطحاً صقيلاً من الصلب ، او طبقة سماكتها بضعة ملليمترات من لوح زجاجي في بضعة دقائق . وقدرة الكحول والايثر تحت الضغط على النفاذ او الاختراق أقل من قدرة الماء أما الغليسرين والزيوت فيندران يكون لها قدرة على هذا الضرب من الاختراق ولكن مواد تشحيم السيارات تصبح صلبة كالقولاذ اذا ضغطت ضغطاً عالياً . وأغرب من هذا انه اذا رفع الضغط رفعاً فجائياً نخرج الماء الذي كان قد تخلل سطح الصلب تفتت السطح . واذا أخذ قضيب من الزجاج وأحيط بالماء وعرض الماء لضغط كافٍ هنيئة ثم رفع الضغط فجأة فالزجاج لا يتأثر . ولكن اذا طال الضغط خمس دقائق ثم رفع فجأة فقضيب الزجاج ينقسم حينئذٍ أقراصاً زجاجية واذا زاد التعرض للضغط الى عشرين دقيقة ورفع فجأة تهاوى القضيب شظايا زجاجية صغيرة

وما تأثير الضغط العالي في الأحياء ؟

ان الأحياء البحرية تمكنت من الملاءمة بين حياتها ودرجات الضغط المختلفة في البحار . في أغوار البحار اصناف متعددة من السمك تعيش حيث يبلغ الضغط « ألف جو » . ولكن الحيوانات التي تتنفس الهواء لا تستطيع أن تعيش اذا نقص الضغط الجوي كثيراً او اذا زاد كثيراً . ومع ذلك فدرجات الضغط في قعر البحر ، وفي أعالي الهواء ، تكاد تكون



عادية بالقياس الى درجات الضغط العالي التي يستطيع العلم توليدها ، او يفرض العلم وجودها في قلب الأرض او باطن الشمس

من الأحياء ذوات الخلية الواحد ما يستطيع ان يعيش في درجة من البرد تبلغ الصفر المطلق تقريباً ، ويستطيع ان يتحمل درجة من الضغط العالي لا يكاد يتصورها العقل . فمن البكتيريا ما يستطيع ان يعيش بغير ان يصاب بأذى في أحوال يتفاوت فيها الضغط بين ثلاثة آلاف جوٍّ وأربعة آلاف جوٍّ ، ومن البكتيريا صنف لا يولد زوراً (Spores) كالبكتيريا العنيدية (ستافيلوكوك) يموت اذا بلغ الضغط ستة آلاف جوٍّ بينما البكتيريا التي تولد زوراً تستطيع ان تتحمل ضغطاً يبلغ ٢٢ الف جوٍّ فهي قادرة ان تعيش في قعر البحر ، وتحمل ضغط مائه العظيم حتى لو بلغ عمق البحر اثنين وعشرين ضعف ما هو في أعماق أعماقه

ومن الغريب ان سمّ الأفاعي لا يدمر ولا يفقد صفته بتعرضه لأعظم ضغط استطاع العلماء توليده حتى الآن . يقابل هذا ان باشلس الدفيري يموت بفعل ضغط لا يزيد على ١٣٠٠ جوٍّ . ويموت باشلس الدرن بفعل ضغط دون ذلك . وتموت الخلايا السرطانية ، كسائر الخلايا الحية بتعرضها لضغط يبلغ الي جوٍّ . ويؤخذ من هذا ان سبب السرطان ليس بكتيريا لأن أشد البكتيريا تأثيراً بالضغط يستطيع ان يتحمل ضغطاً يبلغ ٤٠٠٠ جوٍّ بغير ان يموت . ولا تبلغ الحيوانات المجهرية مبلغ البكتيريا في قدرتها على تحمل الضغط العالي . ولكن النقاعات (الاشقوزوريا) وغيرها عرضت لضغط يتفاوت بين ٢٠٠ جوٍّ و ٥٠٠ جوٍّ بغير ان تموت . ومن بواعث العجب والحيرة ان التعرض لضغط عال يبعث على نشاط اعمال الحياة في البدء ثم يطفىء شعلتها فجأة . فتشاهد طائفة من « براغيث الماء » وقد زادت حركتها ونشط ذهابها واياها عندما تعرض للضغط ، ثم تسكن كأنها نومت او ترسب في قعر الاناء . فاذا رفع الضغط فجأة او خفض عادت الى الحركة على سطح الماء على ما لوف عادت

ولكن تأثير الضغط العالي لا يقتصر على الأحياء وقد سقنا في ما تقدم طرفاً من الوان تأثيره في المادة وخواصها

ولا نعلم الآن ما يكون من شأن هذه المباحث الجديدة في ارتقاء علمي الكيمياء والطبيعة وتقدم تطبيقهما . ولكن مما يستوقف النظر ان نواميس الكيمياء والطبيعة تصدق على المادة عندما تكون خاضعة لضغط عادي ولا تصدق عليها عند ما تتعرض لضغط عالٍ جداً . ولا بد ان يكون لهذه الحقيقة أثر في آراء العلماء عن أحوال المادة في الأجرام الأخرى لأن هذه الآراء كانت قائمة الى حد ما على ان خواص المادة هناك تشبه خواصها على سطح الارض



## ٣ - النفط والحرب في أوروبا

الحقيقتان الأساسيتان في هذا الموضوع الخطير، هما مقدار نقص الاستهلاك الأهلي في ألمانيا وإيطاليا والبلدان المحتلة ومدى اتساع نطاق الاستهلاك الحربي. والسؤال الرئيسي بعد بحث هاتين الحقيقتين هو هذا: — كيف تُقَابَلُ المقادير التي لا غنى عنها من النفط ومشتقاته للاستهلاك الأهلي والحربي في أوروبا النازية، بالموارد المتاحة لها الآن؟

زاد ما يستهلك من النفط ومشتقاته في ألمانيا، من ثلاثة ملايين وثلث مليون طن إلى سبعة ملايين وثلث مليون طن بين ١٩٣٣—١٩٣٨، وقد فرضت قيود شديدة على الاستهلاك في بدء الحرب، فنقصت المقادير المستهلكة نقصاً كبيراً. وكان ما يستهلك عادةً في أبان السلام في النمسا وتشيكوسلوفاكيا وغرب بولونيا ودمارك والنرويج وهولندا وبلجيكا وفرنسا المحتلة نحو ثمانية ملايين من الأطنان — وهذا بصرف النظر عن المقادير اللازمة للسفن في الحاليين. ولا ريب في أن السلطات الألمانية في ألمانيا وجميع البلدان المحتلة فرضت قيوداً شديدة على استهلاك أصناف النفط ومشتقاته في تلك البلدان. فاستعمال السيارات لأغراض خاصة محظور إطلاقاً أو في أغلب الأحيان. وقد عادت الدراجات إلى باريس مثلاً أسلوباً غالباً للانتقال ولكن نقص الاستهلاك الأهلي له حدٌ ولا سيما في بلدان صناعية يريد هتلر أن يستغلها استغلالاً صناعياً

والمفروض عند خبراء هذا الموضوع أن أقصى حدود الشدة في هذه القيود تقضي إلى نقص الاستهلاك المألوف في أيام السلام، من خمسين في المائة إلى خمسة وستين في المائة. ولما كانت البلدان التي تقدم ذكرها تستهلك عادةً في أبان السلام، ما يزيد قليلاً على خمسة عشر مليوناً من الأطنان، فالاستهلاك الأهلي فيها الآن لا يمكن أن يكون دون خمسة ملايين إلى ستة ملايين من الأطنان

أما إيطاليا فكانت تحتاج في استهلاكها الأهلي في أثناء السلام إلى مليوني طن ونصف مليون طن. والرأي عند الخبراء أن هذا المقدار لا يستطيع نقصه بالقيود المفروضة على الاستهلاك، مهما تبلى من الشدة والدقة، أكثر من ٤٠ إلى ٥٠ في المائة. أي أن إيطاليا تبقى محتاجة إلى مليون طن ونصف مليون طن من النفط ومشتقاته لاستهلاكها الأهلي على الأقل. وهذا عدا ما تحتاج إليه لتأمين سفنها التجارية. فمجموع ما تحتاج إليه دولتنا المحور والبلدان الخاضعة لها للاستهلاك الأهلي لا غير، يبلغ ستة ملايين ونصف مليون طن. وهذا الحساب عمل قبل احتلال البلقان. وما تستهلكه دول البلقان يجب أن يضاف إلى ما تقدم



وماذا يقال في الاستهلاك الحربي؟ إن هذا الاستهلاك مرتبط بنوع القتال الدائر أو الذي يحتمل أن يدور . ولكن في الوسع ضرب مثل أو مثلين . فالطائرة المطاردة التي قوة محركها ألف حصان تستهلك ٢٥٠ كيلو غراماً من أصفى أنواع البنزين — وهو مشتق من النفط بأساليب خاصة — في ساعة واحدة . والقاذفة التي قوة محركها ألفا حصان تستنفد ٥٠٠ كيلو غرام في ساعة واحدة . وقد أثبتت حقائق الحرب الميكانيكية في بولونيا وفرنسا، أن فرقة متحركة تستنفد ١٨٠ طناً من الوقود السائل كل يوم . وقد استعمل الألمان في بولونيا ستين فرقة واربعة آلاف طائرة ، وفي معركة فرنسا عندما بلغت ذروتها من الشدة والعنف ، ١٢٠ فرقة و ٣٠٠٠ طائرة كل يوم . وهذا يقابل استهلاكاً سنوياً قدره أربعة ملايين طن في الحالة الأولى و ١٠ ملايين طن في الحالة الثانية . ولكن إذا اقتصر القتال على الحرب الجوية ، كان الاستهلاك أقل كثيراً . فإذا استعملت ألفا طائرة وكانت كل منها تطير ما معدله ساعتان كل يوم ، بلغ مجموع ما تستهلكه في السنة نصف مليون طن من البنزين النقي . ولذلك قلنا أن الاستهلاك الحربي مرتبط بنوع القتال الدائر أو الذي يحتمل أن يدور

ويجب أن يضاف إلى هذا أن ما تصاب به سلك الحديد الأوروبية ولا سيما في ألمانيا من تلف وتعطيل قد يضطر ألمانيا إلى توسيع نطاق النقل بالسيارات، وهذا يزيد مقدار ما يستهلك من الوقود السائل . وما أصيبت به سلك الحديد من تلف وتعطيل حتى الآن حملها على توسيع نطاق النقل البحري الساحلي في شمال أوروبا وشمالها الغربي مع ما تتعرض له هذه السفن المتسلسلة من ثغر إلى ثغر من خطر القاذفات البريطانية

وليس ثمة ريب في أن القتال الدائر في روسيا منذ أربعة أشهر ، من أعنف ما عرف في التاريخ وهو واسع النطاق يمتد ألفاً وخمسمائة من الأميال أو أكثر . وتشترك فيه جيوش تعد بالملايين وطائرات ودبابات ومركبات تعد بعشرات الألوف . ويشمل مساحات شاسعة ومسافات طويلة . فلا ريب في أن الجيش الألماني استنفد مقادير عظيمة من النفط ومشتقاته . وقد تصعب معرفة هذه المقادير على وجه التحقيق . ولكن فريقاً من الخبراء قدرها بخمسة ملايين من الأطنان في الأشهر الثلاثة الأولى . وهو تقدير لا نعلم مبلغه من الدقة ، لأن معرفة ما تستهلكه جيوش كبيرة قوامها مئات من الفرق وعشرات الألوف من الدبابات والسيارات المدرعة وسيارات النقل الكبيرة والطائرات ليست بالأمر اليسير

فما هي الموارد التي تعتمد عليها ألمانيا في توفير ما تحتاج إليه من النفط ومشتقاته للاستهلاك الأهلي — وهو نحو ثمانية ملايين طن في السنة — وللاستهلاك الحربي ، وهو مقدار متغير ولكنه بالغ الآن ، ومعركة روسيا على أشدها ، مبلغاً عظيماً ، لا شك في ذلك



هذه الموارد ثلاثة ، أولها ما يستخرج من النفط من آبار في اراضي المانيا او الدول الخاضعة لها ، او ما يصنع فيها بالتركيب الكيميائي مستخرجاً من الفحم . وثانيها ما يستورد من الخارج . وثالثها ما خزن قبل الحرب تأهباً لها

زاد ما يستخرج من النفط الخام من آبار في المانيا والبلدان الخاضعة لها من ٢٣٨ الف طن في سنة ١٩٣٣ الى ٧٠٠ الف طن في سنة ١٩٣٩ وقد يبلغ مليوناً الآن او اكثر قليلاً وهذا يشمل ما يستخرج في بولونيا وفرنسا . وزاد المصنوع بالتركيب الكيميائي من ١٨٠ الف طن في سنة ١٩٣٣ الى ١٧٠٠٠٠٠ في سنة ١٩٣٩ وقد يكون — او من المفروض ان يكون — حوالي مليونين هذه السنة . فمجموع ما يستخرج من آبار خاضعة لألمانيا — عدا رومانيا — وما يصنع ، بالتركيب الكيميائي ، ٢٧٠٠٠٠٠ طن في سنة ١٩٣٨ وكان مفروضاً ان يبلغ اربعة ملايين في هذه السنة على الأكثر

استعملنا لفظ «مفروض» مراراً في العبارة السابقة ، في الاشارة الى استخراج الزيت من الفحم بالاساليب الكيميائية . وسبب استعماله ان الحرب الجوية جعلت مصانع استخراج الزيت من الفحم بيوتاً من الزجاج ترشق بالحجارة أي بالقنابل . وقد جرت قيادة سلاح القاذفات البريطانية على خطة منظمة أحد أغراضها تدمير هذه المصانع وكل مصنع منها هدف لا مثيل له لطيارى القاذفات لانها تحتوي على مواد ملتهبة تشتعل فوراً وتحدث حرائق ملتهمة اذا أصابتها قنابل متفجرة او متفجرة فمحرقة . ولا ريب في ان انتاج هذا النوع من الزيت في المانيا قد تأثر تأثراً كبيراً بفعل هذه الغارات . وفي الوسع ان تصور الوقت الذي ينقص فيه هذا الضرب من الانتاج الى مقادير تقرب من الصفر . ولولا هذه الغارات الجوية لكان من المفروض ان يبلغ انتاج هذا الزيت مبلغ كذا في هذه السنة . ولكن هناك فرق شاسع بين المفروض والحقيقة الواقعة

وهذه الناحية من الحرب ، قلبت في حدودها ، مبدئاً حربياً قديماً . إذ كان من المسلم به عند الخبراء العسكريين ، ان الدولة التي تحارب حرباً تكون فيها خطوط مواصلاتها خطوطاً داخلية تقوّز بمزية عظيمة على خصمها لان الخطوط الداخلية أقصر من الخطوط الخارجية ، كما ان قطر الدائرة أقصر من محيطها . ولكن الخطوط الداخلية القصيرة تعني احتشاد المصانع وهي ركن أساسي في الحرب الميكانيكية . والاحتشاد الصناعي يعني توفير الاهداف التي تتوخاها قاذفات الاعداء وهذا عين ما هو حادث في المانيا الآن

نعود الى النفط ومشتقاته فنقول ان ايطاليا لا تستطيع ان تنشئ في بلادها صناعة بعندُها للزيت المستخرج من الفحم لانها تحتاج الى استيراد الفحم على كل حال ولا تستطيع



استيراده الآن من المانيا ونقله بسكك الحديد كبير النفقة . ولعل هذه السكك مرهقة الآن بأعمال حربية أخرى . وما يستخرج من آبار البانيا قد لا يزيد على ٣٠٠ الف طن في السنة على أكبر تقدير ولكنه يكرّر في مصانع بايطاليا معرضة للغارات الجوية وبعضها هوجم وأصيب فقط البانيا يكرّر في باري وليثورنو بايطاليا وفي كل منهما يستخرج ١٢٠ الف طن من البنزين المصقّى للطائرات و ٣٠ الف طن للتشعيم . ولكن انتاج الآبار الالبانية محدود بشح الآبار وقلة ما ينقل بأنبوب النفط الممتد من منطقة الآبار الى ثالونا . ومصانع التكرير في باري وليثورنو علاوة على مصانع التكرير في تريستا وفيومي وبورتو مارجيرو وناپولي وسيديزا عرضة ، جميعها او معظمها ، لقنابل القاذفات البريطانية

فايطاليا من ناحية النفط ومشتقاته عالة على المانيا . أما رومانيا فتنتج الآن نحو ستة ملايين طن في السنة . وقد تكون خمسة منها جاهزة للاصدار الى المانيا . ولكن وسائل النقل بسكك الحديد وبنهر الدانوب لا يمكن في حال من الاحوال أن تتسع لأكثر من ثلاثة ملايين طن على أكبر تقدير . والغالب ان هذا تقدير مبالغ فيه . واسهل من ذلك استعمال بعض البترول الروماني في ميادين قريبة من رومانيا . والنفط نفسه لا يفيد كثيراً كما يخرج من الارض فلا بد من تكريره . وأشهر معامل التكرير الرومانية في بلدة بلوستي . ولعل القراء يذكرون ما قاله لوزنيسكي في موسكو عندما سأله احد الصحفيين عن احتمال ضرب الروس لبلوستي . فقال — بلوستي : لم يعد لها وجود !

اما ما كانت تستورده دولتنا المحور من خارج اوروبا فقد قطع عنها الآن وعن جميع الدول الخاضعة لهما . وأما الخزون تأهباً للحرب فلا يعلم على وجه التدقيق وقد قدره خبراء البترول بنحو ثلاثة ملايين طن في سبتمبر سنة ١٩٣٩ ووضعه بعضهم قبل الحرب الروسية في حدود اربعة ملايين طن . ولا يظن ان هذا الخزون ميسّر قبل الحرب الروسية ، لأن المانيا أخذت من البلدان المحتلة ما استنفدته في معارك احتلالها . ولكن من المحتمل انه مسّ الآن بعد كل ما استنفدته الحرب الروسية فيما مضى من صراعاها العنيف . ولا بد ان يطرد النقص في الخزون اذا مضى القتال في روسيا على الوجه المعروف حتى الآن

ولذلك لا بد للقيادة الالمانية من ان تصل الى فوز حاسم سريع في الحرب الروسية . ومن اركان هذا الفوز — من الناحيتين السالبة والموجبة — الوصول الى مناطق النفط الروسي في القوقاس . ولكن دون هذا الوصول على ما نعلم مقاومة شديدة في جنوب أوكرانيا وعند مصب نهر الدون . ثم في بلاد القوقاس الجبلية الوعرة نفسها . والدفاع في هذه البلاد يستطاع تعزيزه من الجنوب اي من إيران



٤ — العرب والعلم<sup>(١)</sup>

هناك أناس يضربون على نعمة جديدة اقتبسوها عن الجاحدين لفضل العرب والا سلام وهذه النعمة تدور حول قولهم ان العرب لم يكونوا غير نقلة للعلوم ، ومن الغريب ان لانجد من رد عليهم ، ومن الغريب ان يكون الرد عليهم من عالم أميركي اشتهر بالبحث والتنقيب . قال الدكتور سارطون : — «... ان بعض الغربيين الذين يجربون ان يستخفوا بما أسداه الشرق الى العمران يصرحون بأن العرب والمسلمين نقلوا العلوم القديمة ولم يضيفوا اليها شيئاً ما... هذا الرأي خطأ... لو لم تنقل الينا كنوز الحكمة اليونانية لتوقف سير المدنية بضعة قرون...» ومعني الدكتور في كلامه فيقول : — «... ولذلك فان العرب كانوا أعظم معلمين في العالم في القرون الثلاثة : النامن ، والحادي عشر ، والثاني عشر للميلاد »

ولقد ظهر عند العرب علماء عباقرة أسدوا جليل الخدمات كالتي أسداهها نيوتن وفراداي ورتنجن وغيرهم من نوابغ الغربيين . وقد اعترف سارطون وست وكاجوري وبول بأن العرب أخذوا بعض النظريات عن اليونان وفهموها جيداً وطبقوها على حالات كثيرة مختلفة ، ثم كوّنوا من ذلك نظريات جديدة وبحوثاً مبتكرة فهم بذلك قدموا للعلم خدمات جليلة لا تقل عن الخدمات التي أتت من مجهودات كبار رجال الاختراع والاكتشاف في الغرب

اننا أولى من غيرنا بمعرفة عباقرتنا ونوابغنا . انه لواجب مقدس علينا ان نهتم بترائنا وبما أورثه أسلافنا الى الأجيال

أليس من العيب الفاضح ان لا يعرف الناشئ العربي ان الخوارزمي هو من كبار رياضي العالم وانه أول من وضع الجبر في شكل مستقل عن الحساب وقد بوبه ورتبه وزاد عليه زيادات هامة تعد أساساً لكثير من بحوثه . وعلم الجبر هذا من أعظم أوضاع العقل البشري لما فيه من دقة وإحكام في القياس . ولقد جمع العرب بين الجبر والهندسة وطبقوا الهندسة على المنطق كما طبقوا أكثر العلوم على مختلف مرافق الحياة . واعترف كاجوري بفضل العرب على الجبر فقال «... ان العقل ليدعش عندما يرى ما عمله العرب في الجبر » وقال أيضاً : — «... »

حل المعادلات التكميلية بوساطة قطوع المخروط من أعظم الأعمال التي قام بها العرب » و القول ان بحوث العرب في الجبر والهندسة وفي الجمع بينهما كانت سابقة لبحوث ديكرتو وأليس غريباً ان لا يعرف كثيرون ان العرب هم الذين هذبوا الأرقام الهندية التي نسته

(١) من مقدمة قدرني حافظ طوقان لكتابته « ماثر العرب في الرياضة والفلك » وهو هدية المقتطف



الآن والتي وصلت الغرب بوساطة الكتب العربية . وليس المهم هنا تهذيب العرب للارقام بل المهم إيجاد طريقة جديدة لها ، طريقة الاحصاء العشري ، واستعمال الصفر للغاية التي نستعملها الآن ووضع علامة الفاصلة للكسر العشري ، ولا يخفى ما لذلك من أثر في تقدم الرياضيات والعلوم وارتقاء الحضارة في مختلف نواحيها

هل سمع القارئ شيئاً عن البتاني الذي امتاز على غيره بمواهبه وقد تبوأ أمركراً عالمياً في ميادين العلوم ولا سيما في الفلك والمثلثات والهندسة والجبر . ولقد اطلع لالاند وهو عالم غربي لمع في سماء البحث والاستقصاء والانتاج ، أقول اطلع لالاند على ما أثر البتاني فكان انحدته من العشرين فلكياً المشهورين في العالم كله . وكان من العرب علماء آخرون أدهشوا الاوربيين وحملوهم على الايمان بقوة العقل العربي وابداعه . ومن هؤلاء العلماء ابن سينا الذي قال عنه سارطون انه من اشهر مشاهير العلماء العالميين والكندي الفيلسوف الذي سرى ذكره في كل نادٍ وهو من الذين امتازت مواهبهم بنواحيها العديدة ومن الذين عدّهم كاردانو من الاثني عشر عبقرية الذين من الطراز الاول في الذكاء في العالم كله

أليس من المؤسف حقاً ان لا يعرف الناشء العربي ان احداً من تبنوا الكيمياء وأنهم ابدعوا في الابتكار فيها وأنهم سبقوا الغربيين في الالتجاء الى التجربة ليتحققوا من صحة بعض النظريات . واليه يرجع الفضل في استحضار كثير من المركبات والخواص التي تقوم عليها الصناعة الحديثة . فلقد استحضروا مركبات تستعمل الآن في صنع الصابون والورق والحبر والفرقعات والاصبغة والسماد الاصطناعي . وقد يجهل كثيرون أن جابر بن حيان هو من ألمع علماء الكيمياء العالميين ومن الذين أضافوا اضافات هامة الى الثروة الانسانية العلمية جعلته في عداد الخالدين القدمين في تاريخ تقدم الفكر . وقد يدهش القراء اذا قلنا أنه وجد في الأمة العربية من اشتهر في كثير من العلوم كالبيروني ومن كان ذا كعب عال فيها فاق علماء عصره وعلا عليهم وكانت له ابتكارات قيمة وبحوث نادرة في الرياضيات والفلك والتاريخ والجغرافيا . وقد توصل سخاو بعد دراسة حياة البيروني وبعد اطلاعه على مؤلفاته الى الوقوف على حقائق لم تكن معروفة خرج منها باعتراف خطير وهو : — « أن البيروني أعظم عقلية عرفها التاريخ » . ولو أن هذا الاعتراف صدر عن باحث عربي لرمي بالتحيز والمغالاة ولكنه بحمد الله صادر عن عالم يزن كلامه ولا يبيدي رأياً الا بعد بحث وتمحيص . ومن بحاث الغرب من حملته دراسة التاريخ والجغرافيا على القول بأن مقدمة ابن خلدون هي أساس التاريخ وحجر الزاوية فيه وإن كتاب معجم البلدان لأبي عبد الله ياقوت هو معجم غني جداً بالمعرفة وليس له من نظير في سائر اللغات ..... الخ



# الآثار العراقية



بين الماضي والحاضر

بقلم كوركيس عواد

## ١ - نصير

ليس من اليسير على الباحث ، ان يتناول في صحائف قلائل ، موضوعاً عامّاً ، واسع النطاق كالبحث عن الآثار العراقية القديمة . لأن العراق ، او بتعبير تاريخي أدق ، « وادي الرافدين » ، من الأقطار الغنية بآثارها العريقة في مجدها وحضارتها ومعروف لدى الباحثين ، ان أقدم المدينيات هي تلك التي سارت ضفاف الأنهار : فمدينة الرافدين مثلاً نشأت عند شواطئ دجلة والفرات وسواعدها ، والمدينة المصرية قامت على ضفاف النيل ، كما ان المدينة الهندية كان منبتها على جوانب السند ... وبوسعنا ان نقول ان الأنهار في فجر الحضارات البشرية شأنها يفوق شأن البحار ، وذلك نظراً الى سهولة الاستفادة من الأولى في قديم الزمان ، وصعوبتها من الثانية . فالبحار في عرف الأقدمين كانت أشبه شيء بالصحارى من وجهة الاستفادة ! وعليه لا غرو إذا كانت الحضارة في أول نشوتها ألصق بالجهات النهرية منها بالجهات البحرية !

إن حضارة ما بين النهرين لم تكن تحدّها حدود جغرافية حاسمة ، بل كانت تبدأ شمالاً بمنابع دجلة والفرات ، ثم تسير جنوباً حيث يسيران حتى يبلغا البحر . على ان هذه الحضارة كان ينتابها تمددات وتفرعات وفقاً للظروف والأحوال ! فقد دلّنا التاريخ على أنها كانت تنعطف أحياناً غرباً حتى تشمل أعالي سورية ، أعني سقي الفرات الشمالي والخابور ، ولعلها كانت تمتد في بعض الاحيان الأخرى الى أكثر من ذلك ، فتشمل سقي الأردن أيضاً ! وهذا ما حمل بعض العلماء المعاصرين على تسمية تلك البقعة بأسرها باسم « الهلال الخصيب » ، أحد رأسيه في جنوبي العراق وثانيهما في جنوبي فلسطين . والحق ان هذا الهلال لمن أخصب بقاع العالم ، كما أنه من أقدم المواطن التي عمرت بالسكان

ولقد توالى على وادي الرافدين منذ آلاف السنين ، دولٌ عديدة ، وانبثت في سهوله



الخصيبة أمم كانت قد بلغت من الرقي شأواً بعيداً حير العلماء في عصرنا . ويؤخذ مما توصل اليه علم الآثار ، ان تاريخ وادي الرافدين من أطول تواريخ الأقطار في العالم : فهو يتألف من حقبة مديدة من الزمن ، تبلغ السبعة الآلاف من السنين بحسب معلوماتنا الحالية ومن يدري ؟ فلعل وراء ذلك آثاراً تسبق العهد الذي ذكرناه ، مما لا يزال أمرها رهن التراب ! ولما كان وادي الرافدين من الساحات الأثرية المترامية الأطراف الضاربة في أعماق التاريخ كان الكلام على كل دولة قامت فيه ، او على ما بقي لنا من آثارها أمراً متعذراً في مثل هذا المقام لذلك سنتناول في بحثنا هذا الكلام بوجه عام على آثار العراق في عهوده التي سبقت الاسلام والتي تلتها ، ثم نعقب على ذلك بلمحة في تكوين دور التحف العراقية

## ٢ - برء دراسة آثار العراق

قبل نحو مائة وخمسين سنة كانت معرفة العلماء بأثار العراق وبتاريخه القديم شيئاً ضئيلاً لا يتجاوز ما روتة عنهما التوراة ، او بعض المصنفات المؤتممة ( الكلاسيك ) ، كتاريخ هيرودوتس وزينفون وديودورس واسترابون ويوسيفس وأميانس مرسلينس وأضرابهم . فلا غرابة اذا كان وقوف العلماء حينذاك على آثار العراق وقوفاً ناقصاً مشوّهاً ، يلزمه الخيال ويعتريه الوهم ، وتلابسه المزاعم والظنون ! ومن يطالع كتب التاريخ او أخبار السياحات التي وضعها أولئك العلماء قبل تلك المدة المذكورة ، ويتدبر البحوث التي دونوها عن أمثال هذه الشؤون ، يقف متعجباً من تلك الآراء الغريبة التي أضحت اليوم بفضل تقدم علم الآثار ضرباً من الأساطير ! على ان تلك المدونات بالرغم مما فيها من قصور ووهن ، أصدق شاهد يمثل لنا علم الآثار وهو في مهد طفولته ، بل انها أول المراحل في دراسته ، والأساس الذي شيدت فوقه البحوث الرصينة التي تلتها

ويمكننا ان نعزو التقصير المذكور في معرفة آثار ما بين النهرين الى عاملين رئيسين :  
الاول : جهل أرباب الآثار ، وقتذاك لللغات القديمة التي كانت سائدة في هذه المنطقة او في ما يجاورها ، من البلدان جهلاً تلمّاً . وتلك اللغات هي : الشُميرية والآكَدِيَّة ( السكدانية — البابلية ) والاشورية والكيانية <sup>(١)</sup> والكاسية والعيلامية والحيّة والجوثيّة وغيرها

الثاني : عدم القيام بالحفريات والتنقيبات العلمية في المواقع الأثرية ليستدل بها على ماضي المدن العراقية وقراء المندثرة وعلى ما كان عليه القوم في ذلك العهد البعيد من سبل الحضارة والعمران

(١) الكيانية عرفت بهذا الاسم لدى المصنفين العرب الاقدمين . وهي لغة القوم المعروفين عند علماء الانرج باسم Achaminides أو Achéménides



## ٣ - حل الكتابة المسمارية

وتُعد سنة ١٨٤٧ م ، من أبرز السنوات في تاريخ دراسة الآثار العراقية ، بل كانت سنة فاصلة في حياة هذا العلم : فلقد توصل فيها أحد كبار العلماء المجددين وهو المرحوم هنري رولنسن <sup>(١)</sup> Sir H. C. Rawlinson (١٨١٠ - ١٨٩٥) الى حل رموز «الكتابة المسمارية» . والمسمارية ضرب من الكتابة أطلقت هذه التسمية لمشابهتها المسمير <sup>(٢)</sup> ان اللغات القديمة التي كانت شائعة في وادي الرافدين ، كانت تُدَوَّن بهذه الكتابة ، على اختلاف في الاشكال والاشارات . بل ان هذا النوع من الكتابة كان يعم بعض ما جاوره من الأقطار ولقد وجدت حقيقة كتابات عديدة من هذا القبيل في ايران وتركيا وسورية وغير ذلك من البلدان

ان حل رموز تلك الكتابات فتح أمام الباحثين باباً كان مُوصَداً ، وذلك لهم عتبة كؤوداً ! فالكتابات المسمارية ، بعد أن كانت فيما مضى طلسمًا من الطلاسم ، حتى ان أحد العلماء <sup>(٣)</sup> لم يتردد يومئذ في اعتبارها زخارف ونقوشاً محضة ، صار بمقدور من تعلمها منهم . أن يقرأ عشرات بل مئات النصوص المستخرجة من مختلف هذه البقاع ، فيستخلص منها حقائق ثمينة كان للتاريخ منها أجل الفوائد

وكان أكثر ما اهتم به العلماء في هذا الصدد ، قراءة تلك النصوص القديمة المكتشفة وإذاعتها بين الأندية العلمية ، للاستفادة من مضامينها وللوقوف على الشؤون التاريخية والدينية والأدبية والسياسية والاقتصادية والشرعية وغير ذلك مما كان متعارفاً بين سكان هذا الوادي كالشمريين والبابليين والآشوريين وغيرهم من الأقوام

إن تلك النصوص القديمة ، دونها أصحابها على الأجر وعلى قطع الأحجار المختلفة الحجم والألواح الرخامية الكبيرة والتماثيل الهائلة العظم ونظائرها مما صبر على الدهر ... وما لم ينشره العلماء منها يفوق ما نشره حتى يومنا . ومع ذلك ، فإن المنشور منها يكون خزانة كتب قائمة بذاتها ، تتألف من مئات المجلدات ، فضلاً عن أضعاف هذا العدد من المقالات والكراريس ...

ولا يتصورن القارئ ان التوصل الى قراءة تلك الكتابات كان امراً ميسوراً ،

(١) طالع ترجمته في كتاب : أعلام المقتطف (ص ١٦٠ - ١٦٢) وفي كتاب Budge : Rise and Progress of Assyriology (London, 1925, pp 47-129)

(٢) تسمى بالافرنجية Cuneiform أو Cuniform

(٣) هو الرحالة الايطالي الشهير بترولا فله Pietro Della Valle الذي قضى خمس سنين (١٦٦١ - ١٦٦٢ م) في جوب انحاء آشور وابل وایران وغيرها



فالحقيقة هي انه من أصعب الامور ، بل من أعقد المشاكل التي ذُلت في تاريخ العلم ، ولم يُتَغَلَّب عليها إلاَّ بالجهد البليغ والصبر الطويل والتتبع الدائم سنين عديدة ! فقراءة الكتابة السامرية من أجل الموقفيات في تاريخ الآثار العالمية ، ولا يوازها قيمة سوى قراءة العلامة شمبوليون ( J. F. Champollion ) الكتابة الهيروغليفية سنة ١٨٢٢

واذا ابتغينا وجه الانصاف في هذا الصدد ، قلنا إن رولنسن لم يكن أول من اشتغل بهذا الباب ، بل سبقه الى هذا الميدان علماء آخرون <sup>(١)</sup> ، حاول كل منهم ان يحل تلك المعميات ، لكنهم لم يصلوا الى نتائج ظاهرة تحسم الموضوع ، حتى جاء هو فكشف اللثام عما اعتاص على غيره . ثم ساهم بعده عدد غفير من العلماء في تشييد هذا الصرح العلمي بحيث تكاملت بعض أقسامه ولا تزال أقسام أخرى بحاجة الى درس وتدقيق نظر فيها

ويطول بنا القول اذا اردنا ان نبين كيف توصل رولنسن ، ومن هذا حذوه ، الى قراءة تلك الكتابات لأول مرة ، فان هذه الناحية وحدها تتطلب بحثاً خاصاً ، بل انه سبق لنا ان أفردنا لهذا الموضوع ، مقالة نشرت في مجلة الرسالة بعنوان « حجر بهستون مفتاح الكتابة السامرية » <sup>(٢)</sup> ولعل في الرجوع اليها ما يغني عن الاطالة فيه هنا

#### ٤ — الحفريات الأثرية

أما الحفريات ، فقد بدأت في العراق منذ أوائل القرن التاسع عشر ، واستمرت بعد ذلك — عدا فترات متقطعة — حتى سنتنا الحالية . ان نطاق الحفر أخذ يتسع شيئاً فشيئاً فبعد ان كان في مبدأ أمره مقتصرأ على المواقع الشهيرة البارزة جداً ، كابل وأشور ونيوى وكالخ وخرساباد <sup>(٣)</sup> ، اتسع بحيث شمل الآن ما يربي على الخمسة والخمسين موقعاً ! وبعد ان كان العلماء يستهدفون في حفرياتهم القديمة « استخراج التماثيل الضخمة والآثار الكبيرة » ، صاروا يقنعون باليسير ، بل قد يجدون في بعض اللقى « الصغيرة » ما تفوق خطورته ذلك التمثال الكبير ! وبعد أن كانت مساعي العلماء منحصرة في نبش المواقع التي تعود الى الأدوار المتأخرة من تاريخ العراق القديم بالنسبة اليها ، أخذوا يتوغلون في مجاهل الماضي السحيق ، ويتغلغلون في أعماق التراب فيقعون على أقدم الآثار عهداً وأبعدها زمناً ! أما ما استخرج من « المواد الأثرية » من هذه المواقع طوال هذه السنين فيكاد يخرج عن دائرة التصديق لوفرتة وخطره ونفاسته

(١) نذكر منهم Lassen و Burnouf و Rask و Grotefend

(٢) الرسالة العدد ٨١ الصادر في ٢١ يناير ١٩٣٥ ، ص ٩٠ — ٩٥

(٣) اسمها الأشوري « دور شاروكين » ، وكانت تعرف في العصر الاسلامي باسم « خرساباد »



ان هذه الحفريات الواسعة قامت بها بعثات علمية من مختلف الجنسيات بينها : الانكليزية والفرنسية والالمانية والاميركية والايطالية . ومنذ سنة ١٩٣٦ أخذت دار الآثار القديمة في العراق تنهض بأعمال الحفر والتنقيب في بضعة مواقع ، خاصة في المواطن الاسلامية التي لم يعرّها الأجانب الاهتمام الذي تستحقّه . وهكذا بعد ان كان تاريخ وادي الرافدين يقوم على الاساطير والأقاويل ، أصبح يستند الى علم الآثار المبني على نتائج الحفريات العلمية المنظمة إن الاستمرار على هذه الحفريات والامعان في توسيع نطاقها سوف يزيداننا معرفة بماضي هذه البلاد ويقفاننا على ما خبأته يد الزمن من ذلك التراث الخالد الذي يؤهلنا لتكوين « تاريخ » لهذا القطر متكامل الحلقات متلاحم الأجزاء . وقد ذكرنا آنفاً ، ان المواقع التي جرى التنقيب فيها تربي على الحمسة والحمسين موقعاً . والآن نضيف اليها ان المواقع الأثرية التي لم ينقب فيها حتى الآن تبلغ أضعاف هذا العدد . ان نظرة عاجلة يلقيها المرء على نشرة « التلؤلؤ والمواقع الأثرية في العراق » <sup>(١)</sup> التي أصدرتها دار الآثار القديمة تبين له ان عدد المواقع الأثرية التي تمّ تسجيلها والاعلان عنها بلغ نحواً من ألف وثلثمائة موقع !

فما قولك فيما لو تيسر الحفر في هذه المواقع او في بعضها واستخراج ما تكبّنه من الدفائن والتحف التي من شأنها ايضاح ما أشكل من تاريخ العراق القديم وفتح ما استغلق على العلماء والباحثين ؟

### ٥ — ما أصاب العراق من آثاره

ونقول الآن : ما مصير هذه المكشوفات ؟ لقد مرّ بالآثار المستخرجة من العراق أدوار ثلاثة الأول : يشمل الآثار التي استخرجت قبل الحرب العالمية الماضية وهذه الآثار كانت — حين اكتشافها — تنقل برمتها الى المتاحف والمؤسسات الغربية التي كانت توفد من يقوم بالحفريات في العراق . كما ان بعضها كان ينقل الى استانبول عاصمة الدولة العثمانية . أما العراق فلم يكن داخلاً في الحساب وعلى هذا لم ينل من ذلك التراث شيئاً قليلاً ولا كثيراً... وفي الواقع ان الآثار المكتشفة في أرض العراق ، كانت نهياً يتقاسمه الأجانب ... فهل من غرابة إذا وجدنا المتاحف في بلدان الغرب تزخر بتلك الآثار النفيسة ، وتفتخر بكونها قد أحرزت تلك الكنوز العجيبة !

الثاني : وهذا يشمل ما استخرج من آثار العراق في دور الاحتلال والانتداب البريطاني له . وقد جعل للعراق منها حصة محدودة ، صارت نواة لمتحف العراقي الحالي . ومع ذلك

(١) ظهرت سنة ١٩٣٩ ، ثم تلاها ماحق سنة ١٩٤١ والذي يؤخذ من صحيفة « الوقائع العراقية » أنه كشفت مواقع أخرى عديدة زيادة عما جاء في هاتين النشرتين



فان « قانون الآثار القديمة » السابق <sup>(١)</sup> منح الأجانب حقوقاً واسعة ، كان من أظهر نتائجها خروج عدد وفير من آثار العراق الى الأقطار الغربية

الثالث : وهو دور استقرار الآثار في العراق ورسوخها فيه . وقد بدأ منذ إنشاء الحكومة العراقية ، فأخذ الاهتمام بشأن الآثار طوراً جديداً في هذا الدور ، بما تؤديه « مديرية الآثار القديمة » من العناية بمصلحة هذه الآثار والسهر عليها ، وبما تشترعه الدولة العراقية من النظم والقوانين ، وبما تتخذه السلطات الحكومية المختلفة من صنوف التدابير لصيانتها والحفاظة عليها من عبث العابثين بها

إن هذا الاهتمام أدى الى ما كانت تتوخاه البلاد من « حصر آثار العراق بالعراق » فكان لهذا المسمى التأثير محمود في نمو « المتحف العراقي » واتساعه بالوجه الذي يرسى عليه الآن إن « حصّة » الأجانب الذين يتولون الحفر والتنقيب في العراق ، قد تقلصت اليوم كثيراً وحُدِّدت بالنظر الى ما ينصّ عليه « قانون الآثار القديمة » الأخير <sup>(٢)</sup> ، فهذه الحصّة لا تتجاوز بعض « المكررات » و « النظائر » للآثار المستخرجة . أما الآثار الرئيسية والقطع الفريدة ، فمن حصّة العراق بأجمعها

وعلى هذا المنوال ، اتسعت الثروة المتحفية في العراق بالرغم من قصر المدة التي مضت عليها . وصار المتحف العراقي ، المؤسس في بغداد سنة ١٩٢٣ ، يضم في قاعاته عشرات الآلاف من المواد الثمينة التي تمثل أدوار السكنى في وادي الرافدين ، منذ أقدم العصور حتى ظهور الاسلام . وبين هذه الآثار ما هو فريد في بابه ، لما يتضمنه من الدلالة الأثرية والقيمة العلمية ، فضلاً عن كونه مستخرجاً من مواقع سحيقة في القدم . وهذه لعمر الحق ثروة لا يمكن تقويمها بمال . فاذا ما استعرضنا هذه الآثار ، ألفينا فيها مختلف الصنوف والأشكال منها : المنحوتات الكبيرة والتماثيل ، والكتابات والنقوش والتصاوير ، والنقود والختم والحلى والأسلحة والأواني وغيرها مما لا يقع تحت حصر

ويسهل على المرء ان يعلم ، ان بعض هذه الآثار متخذ من الحجر بأنواعه كالرخام والصخر والآجر والفخار وبعض الأصناف والأحجار الكريمة ، وبعضها من المعدن كالذهب والنحاس والحديد ، والبعض الآخر من العظم والزجاج والخشب ، وغير ذلك من المواد ثم إن بعض هذه الآثار يعود الى الأدوار الحجرية الأولى ، وبعضها الى ما تعاقب من الأدوار الأخرى . ومن ثمة ، كان تاريخ وادي الرافدين طويلاً غاية الطول ، واسعاً الى أبعد

(١) صدر في ٢٦ / ٦ / ١٩٢٤ وظل معمولاً به حتى ٢٢ / ٤ / ١٩٣٦

(٢) صدر في ٢٣ / ٤ / ١٩٣٦ ، وما زال نافذ المفعول



حدود السعة . إذ يبدأ من أبسط مراحل العيش ، فيأخذ في معارج التقدم والرقى دوراً بعد دور ، حتى يبلغ القمة . وبلوغ القمة نذير بدنو الهبوط والانحطاط ! وهذا ما حصل لتلك الدول والدويلات العديدة التي نشأت فيه ، فانها بعد ان تقدمت في سُبُل الرقي ، انتابتها عوامل الضعف مما لا يتسع المجال لبيانها هنا ، فلما لبثت ان انتهت بها الامر الى التأخر فالتحول والفناء ، وأمسى الحديث عنها من صميم موضوعات التاريخ !

## ٦ - الآثار الإسلامية

بعد ان جرى الفتح الاسلامي للعراق ، اهتم القائمون بالحكم فيه بتأسيس المدن لتكون قواعد او عواصم لهم . فأسست البصرة سنة ١٢ للهجرة ، والكوفة سنة ١٧ ، وواسط نحو ٨٦ ، وبغداد سنة ١٤٥ ، وسامراء سنة ٢٢١ هـ . هذا فضلاً عن توسيع ما كان عامراً من البلدان قبل الفتح ، كالموصل وتكريت واربيل وغيرها ، وإدخال التطورات والتحسينات عليها لقد كان في كل من هذه المدن ما يتناسب وسعتها من المساجد والمدارس والقصور والدور والأسواق والمقابر وغير ذلك من العمارات التي تقتضيها مرافق الحياة اليومية . وطبعي انه كلما كانت المدينة أعظم جاهاً من الوجهة الحكومية كان عمرانها اكثر استبحاراً والعناية بتنسيقها وتجميلها أبلغ أثرًا

وما ذكرنا من المدن ، إما أن يكون قد خرب خراباً نهائياً ولم يبق منه سوى أطلال شاخصة او تلوث تنبيء بما تكنه تحت ترابها ، كما هو الحال في واسط مثلاً ، وأما أن تكون يد الدهر قد تلاعبت بمصايرها ، فأخربتها اولاً ، ثم عادت فجددتها في ما يجاورها من البقاع ، فاجتمع القديم والجديد في صعيد واحد ! وعلى هذا الوجه صرنا نرى اليوم ، الى جانب بعض المدن المندرسة مدناً جديدة مسماة باسمها القديم : فهناك سامراء القديمة وسامراء الجديدة ، ومثل هذا قل عن بغداد والبصرة والكوفة وغيرها من البلدان

عاشت هذه المدن قروناً عديدة ، ومرّت عليها احوال اطمانت فيها الى الحياة ، فذهبت تسعى الى تنظيم وسائل عيشها وامتثال اسباب رفاهها ، وهما أمران يؤديان الى تحسين الصناعة ورفع عمارتها في البلاد

ان الصناعة بلغت شأواً لا يجارى في العصر العباسي ، وهو عصر التّسع رقعة الدولة العباسية ونضج الحضارة الاسلامية . فكان خلفاء بني العباس وسائر الامراء والوزراء وأماثل الناس يبالغون في تجميل قصورهم ويعنون بجعلها آية من آيات الفن ! فازدهر فن البناء أيّما ازدهار وسائر فن الزخرف والنقش ، وتبع ذلك الاهتمام بتصنيع الاثاث الذي يتناسب وعظمة تلك المباني وأبهة أصحابها ، ولكن ما مصير تلك العمارات



ان قصور الخلفاء الرائعة وسائر البنايات ، سواء أفي بغداد كانت أم في غيرها من المدن ، لم يبق منها — ويا للأسف — ما يستحق الذكر ...! والاسباب التي أدت الى محو تلك الآثار أو عملت على تلاشيتها بهذا الوجه كثيرة ليس هنا محل شرحها . وقد نجم عن خرابها ضياع الفائدة على الباحثين اليوم من الوقوف على ما كانت عليه إبان عزّها . ولولا ما بين يدينا من المؤلفات القديمة التي تصف لنا بعض تلك المباني وتشيد بذكر ما كان فيها ، لسكانت معرفتنا لها شيئاً يكاد لا يذكر !

#### ٧ — بصيانة الآثار الإسلامية

شرعت دار الآثار العراقية ، منذ سنة ١٩٣٥ ، بصيانة وترميم عدد من هذه الآثار الإسلامية التي أفلتت من عوادي الزمن ، بعضها في بغداد : كنارة جامع الخلفاء ( في سوق الغزل الحالي ) والقصر العباسي ( في قلعة بغداد ) ، والباب الوسطاني ، وخان مرجان كما انها وجّهت عنايتها الى طائفةٍ صالحة من الآثار الإسلامية القائمة خارج بغداد : كقصر الأخيضر ( على مسافة ٥٥ كيلومتراً من جنوب غربي مدينة كربلاء ) ، ومسجد الكوفة ، والباب الأثري في واسط ، وجسر حرّبي ( على مسافة ٨٧ كيلو متراً من شمالي بغداد ) وجامع الجمعة ومئذنته « الموية » وجامع أبي دُلف ، وقصر الخليفة . وهذه المواقع الأربعة الأخيرة قائمة في أنحاء سامراء

وقد يضيق بنا المقام لو نحاول ان نحصي سائر الآثار والمباني التي تناولتها يد الإصلاح فأحيت مناظرها وأوضحت معالمها . هذا من وجهة البنايات الشاخصة ! فإذا انتقلنا الى الآثار « الدفينة » وجدنا العمل يدعو الى الاغتراب : فقد أمكن القيام بحفريات منظمة في بضعة مواقع إسلامية من ذلك مدينة سامراء ومدينة واسط اللتان استمر التنقيب فيهما بضع سنوات فأُسفر عن نتائج مهمة حيث أُستخرج من كليهما مجاميع أثرية بعضها منقطع النظر وهناك مواقع أخرى — كالانبار والحيرة وتكريت وسنجار وغيرها — جرت فيها تنقيبات تمهيدية دأبت على غزارة ما تحويه من الآثار

#### ٨ — متاحف العراق

والآن ننتقل الى الكلام على المتاحف في العراق : إن المبدأ الذي يسار عليه بشأن المتاحف في العراق ، هي ان كافة آثار البلدان العراقية تجمع في « المتحف المركزي » المقام في العاصمة بغداد . غير انه لما تكاثرت هذه الآثار وتزايدت هذا التزايد الهائل صار من المتعذر عرضها جميعاً في البناية الحالية لهذا المتحف ، لذلك وزعت بين عدة بنايات في بغداد



فالأثار التي تسبق الدور الاسلامي معروضة بأجمعها في « المتحف العراقي » الذي سبق الكلام عليه في هذا المقال (١)

كما ان الآثار العربية عرضت سنة ١٩٣٧ في « دار الآثار العربية » (٢) المنصّدة في بناية «خان مرجان» الأثرية . وهذه البناية شيدها أمين الدين مرجان (٣) سنة ٧٦٠ للهجرة في هذا المتحف أنواع الآثار الاسلامية : فهناك الخزاف الجصية والفخار والخزف العادي والمصبوغ والمزجج والحلي والمنسوجات والأحجار المكتوبة والمحارِب وقطع الأثاث والأواني المعدنية والمصنوعات الجلدية والخشبية والزجاجية ذلك فضلاً عن طائفة من المخطوطات العربية التي فيها ضروب الخط والزخرفة والتجليد والورق والألوان ! وهناك « القصر العباسي » وهو من بنايات أواخر العصر العباسي . اتخذ سنة ١٩٣٥ معرضاً (٤) يضمّ مخلفات المغفور له الملك فيصل الأول والمصورات التي تمثل أهمّ البنايات الاسلامية القديمة في العالم

أما « الأسلحة القديمة » فقد عرضت سنة ١٩٣٩ في متحف مائل في «الباب الوسطاني» وهذا الباب إحدى بنايات بغداد الأثرية وكان يعرف قديماً بباب الظفرية . ويلاحظ ان السور الذي كان يطوف ببغداد قد زال من الوجود بكامله كما زالت الأبواب التي كانت فيه ، ولم ينج من جميعها سوى هذا الباب !

وفي هذه السنة ١٩٤١ افتتح متحف آخر في بغداد ، نعي به « متحف الأزياء القديمة » التي كانت تستعمل في مختلف أنحاء العراق ثم زال استعمالها أو كاد . هذه هي فروع « المتحف المركزي » الموجودة في العاصمة . وهناك « متاحف محلية » تقام في المدن القديمة ، أو بجانب بعض الأطلال الأثرية . والغرض من إقامتها هو ان تضم المواد الأثرية الموجودة في تلك المدينة أو فوق ذلك الطلل مما يتعذر نقله الى المتحف المركزي كما انها تضم الآثار المضاعفة المستخرجة من جهات العراق المختلفة

ومن هذه المتاحف المحلية « متحف بابل » وهو في أطلال بابل ذاتها وقد افتتح سنة ١٩٤٠ . و « متحف سامراء » في مدينة سامراء الحالية وقد تم افتتاحه سنة ١٩٤٠ ايضاً وربما لن تمضي مدة طويلة حتى تشاهد متاحف محلية أخرى في بعض المدن العراقية ، كالموصل وكر بلاه والنجف وغيرها (بغداد) كوركيس عواد

(١) لهذا المتحف دليل مطبوع بالعربية والانكليزية

(٢) لدار الآثار العربية دليل مطبوع بالعربية

(٣) هو من ولادة بغداد . كانت وفاته سنة ٧٧٤ هـ وله آثار أخرى غير هذا الخان

(٤) لهذا المعرض دليل مطبوع بالعربية والانكليزية كما أن للقصر العباسي ذاته دليلاً آخر باللغتين المذكورتين



# فن الحياة<sup>(١)</sup>

للكنور - ابراهيم ناجي

قبل ان نتكلم عن فن الحياة ، نتناول بالتعريف بضع كلمات صارت من الشيوع بحيث لم نعد نفكر في معناها الحقيقي ، او على الأصح لم نعد نراجع أنفسنا في معناها ، وبكلمة أدق جرت مجرى المتعارف المؤلف حتى لم نعد نعنى بالبحث في معناها . أقول ان محاضرتي الليلة هي عن فن الحياة . عنوان المحاضرة كلمتان - فن وحياة . فلنأخذ كلمة « الحياة » ولنسأل ما هي ؟ ؟ أجل ما هي حياتك أيها المستمع اليوم الي ؟ ؟ إني لو اتق أني لو سألت أكثر الناس ما هي الحياة لتردد صدى السؤال ولسمعت همساً « الحياة ! الحياة ! ... » والغالب اني لن أسمع جواباً ، بل صدى سؤال . وسأرى اطرافه تفكير ، ونظرة ذاهلة ، ووجوم محيرٍ يطلب شيئاً من الامهال ليحسن الاجابة . ان مجرد البحث في تحديد كلمة الحياة أيها السادة يستدعي الامام بعلوم عديدة ، ولن يضيع الانسان وقته عبثاً ، فهو مخلوق تجري « الحياة » في دماغه فكيف يجوز له ان يجهل كنه ما يجري في دمه ! الحياة عند علماء النفس ، تتفاعل بين عالمين - بين عالم خارجي ، هو الكون بما اشتمل عليه من العناصر المختلفة ، وعالم داخلي ، هو عالم النفس . فلأخذ والرد بين هذا وذاك ، الموازنة بينهما ، تكيف الضغط ( Tension ) العلاقة بين ذاتيتنا والموضوعية الكبرى - تلك هي الحياة . والكلام عن الحياة ، يقتضي إذن الكلام عن الناحيتين ، الخارجية والداخلية كالميزانية ببايها ، معروف وإيراد ، وكالأمة بسياسيتها داخلية وخارجية . وكما يحدث دائماً حين تستعرض الدولة ميزانيتها او سياستها ، تراجع الدولة ماضيها وتوازنه بحاضرها لكي تدبر أمر مستقبلها ، فنحن على هذا القياس ، يحسن بنا ان نستعرض أمر الحياة من مبدئها على أي نهج سارت وكيف تطورت ولماذا ، والى أي غاية تسير ، وهل هي تمضي قدماً ، أم تتحدر وتضمحل ؟ لقد أحسن « هافيلوك اليمس » كل الاحسان عند ما شبه الناس بجيش كبير ، في مقدمته بضعة قواد وفي مؤخرته خدمة الجيش وبين هؤلاء الجيش الغازي السائر على هدى



شيين: الغرائز والتقاليد. ووراء هؤلاء القادة الذين في المقدمة وهم الذين يمثلون العقل والتفكير يكشفون له الأسرار ويرودون له المجاهل فبنسبهم الرواد أي Pioneers ، السواد الأعظم من الناس بغير شك يعيشون كما يعيش هذا الجيش الذي يصفه هافيلوك اليس : وقد اختصر هافيلوك اليس معنى الحياة — الحياة بلا كلام عن فن ولا سمو ولا جمال — في هذه الغرائز والتقاليد التي تحكمت في القطيع على طول الاجيال وستتحكم فيه الى آخر الزمن . وكذلك اختصر كلمة الاخلاق او محامها ، إذ جعلها مرادفة للتقاليد والعادات ، وهو على صواب ، إذ أن السكثرة الغالبة من الناس ، هم عبّاد تلك التقاليد والعادات ، وكما قال الدس هكسلي انها تنتقل من جيل الى جيل حتى تتخذ على الزمن حرمة وهيبة . . . .

والواقع ان هاته التقاليد والعادات ، وإن اختلفت في الامم فما هي الا قوانين ضرورة أو بالأصح هي القوالب التي تصب فيها الحياة ، لكي لا تتفكك أو تضيع

هذا أمر السواد الأعظم من الناس ، فما شأن أولئك القادة الذين يتقدمون الصفوف ؟ ما حكم هذا المشعل السائر في الطبيعة ، ما حكم هؤلاء العباقرة والنوائغ وأرباب الفنون ؟ هل أفلحوا في قيادة القطيع ؟ هل أمكنهم أن يشقوا له طريقاً أقوم مما رسمته الطبيعة بحكم الضرورة ؟ ان هاته الطبيعة مكونة من « حفنة من المشرعين والفلاسفة والعلماء والشعراء » ولكنها حفنة تركت أثرها الخالد الذي لا يمحي ، ولكن بقي مجال كبير للتفكير ، هل هؤلاء الخالدون جعلوا من ذلك القطيع الذي يمارس الحياة ، هل جعلوا منه شيئاً آخر يرتفع بالحياة ويعيشها كفنٍ ، لا كجموعة رتيبة لا تتبدل من التقاليد والعادات ؟

أقول كفنٍ فارجع كما بدأت الى كلمة طولها وعرضها يسعان هذه الاكوان جميعاً ! الفن ... لقد حاضرت عن الفن في الجامعة <sup>(١)</sup> وقلت إذ ذاك ان الفكرة هي الجمال مستقراً ، والفن اخراج ذلك الجمال المستقر الى حيز الوجود اي اني قرنت الفن بالجمال

غير اني عدت فراجعت نفسي وراجعت كتي . واخذت احدد علاقة الفن لا بالجمال بل بالحياة . فان ذلك أنفع وأجدى والانسان دائماً في حاجة الى الخروج من دائرة تعاريفه لكي يوسع آفاقه ويخلص الى عوالم جديدة : وهذا دأبي دائماً . وقد تعلمته من فلسفة كيرسرنج في كتابه « فن الحياة » ! ففرت أراجع أحب التعاريف الي . وأناقش ألصق الآراء بنفسي وأقربها الى قلبي . فأخذت على مهل أرى ما كان يمنعي عنه تقيدي بآراء كنت أتحيز لها ولا أحيد عنها ! وذلك ما صنعت به بموضوع الفن <sup>(٢)</sup> . والواقع اني انتهيت الى رأي خاص

(١) راجع مقتطف ابريل ١٩٤١ صفحة ٣٩١ ( الفن للمجتمع )

(٢) الجمال هو الفكرة مستقرة ، والفن إخراج ذلك الجمال الى حيز الوجود



وقد رأيت في ما راجعت من الكتب الحديثة التي تكلمت عن العلاقة بين العلم والفن موافقة تامة للرأي الذي انتهيت اليه وهو الذي سأشرحه لكم الآن وستجدون فيه كثيراً من الصواب والمنفعة وان كانت المنفعة آخر ما يعنى به الفن حتى قال شوبنهاور « ان الفن شيء لا يراد به النفع وهذا سر عظمته »

ان التفكير يبدأ بأن نعلم (Conation) ثم ينتهي بأن نعمل. وكذلك العلم حكمته تدل عليه — اننا نعلم — اننا بواسطة العلم (Science) نعرف الحقائق فاذا أخذنا « نخلق » من ذلك العلم شيئاً فهذا هو الفن أي ان الفن ، هو العمل والخلق في اقتران وهذه المدنية هي خلاصة الفنون جميعاً أقصد بالمدنية الجانب المشيد المجسد منها لا الجانب الروحي فذلك في افلاس . ولماذا هو في افلاس ؟

قرأت كتاباً من أخطر الكتب يدعى العقل في التكوين The Mind in the Making لكتاب اميركي اسمه Robinson قال عنه ويلز انه أهم من مؤتمرات العالم وزعماء الدنيا جميعاً وفي هذا الكتاب تحليل لعلل العالم وارجاعها الى اسبابها . ورأيه يتفق مع ما قلته من ان العالم يسير في طريقين . أو هو محكوم بقوتين . التقاليد والغرائز في ناحية ، والعقل او التفكير في ناحية أخرى . وبعبارة أخرى قوة تحكم القطيع . وقوة أخرى تفكر له . القوة الاولى نسميها قوة التقاليد او الخلق ، والثانية قوة العقل الخالق

القوة الاولى تتحكم في القطيع ولا تبارحه بل هي تقيده وتكبله . وهو نفسه يجعل للقيد قداسة وللتكبير حرمة . ولقد وقف من هذا الامر موقف آباءه واجداده لم يتغير ولم يتبدل اي بقي عند همجيته الاولى . هو هو ذلك الرجل البدائي وان كان قد اكتسى حسن الثياب وسكن أنخم الدور ، وبدارائع المظهر تحت طلاء من الاكاذيب المقررة وقناع من الآداب المتوارثة المصطلح عليها . وقد انغمس في ذلك المستنقع الغماساً تاماً . وأبى ان يخرج منه أو يمد يده الى الذي يحاول ان يخرج به . هذا في ناحية — اما في الناحية الاخرى فعندنا قادة العالم من فنانيين وزعماء وعباقر . هؤلاء يتميزون عن القطيع بشيء واحد انهم رفضوا ان ينغمسوا في ذلك المستنقع وحطموا القيود وبدل ان يمرّوا بالصور وفي أيديهم مصباح باهت شاحب غمروها بنور الشمس فظهر معناها رائعاً واضحاً . ثم رفضوا ان يقفوا عندما قرر أسلافهم الوقوف عنده وكذلك رفضوا ان يغرقوا في ذاتيتهم وأن يظلوا في الدائرة الضيقة المحصورة من نفوسهم . اي انهم خرجوا من الخالص الى العام الشامل ، تحرروا من قيود الذات ليفهموا الموضوع وان كان تحررهم من تلك القيود لم يمح تلك الذاتية . . . ذلك طابع الفلاسفة والمفكرين والعباقرة من أول التاريخ . ولقد أصاب كيملنج في قوله انه لا فلسفة ولا شعر



ولا فن بدون هذه الذاتية القوية أولاً . ثم خروج الى الموضوعية ثانياً . أي ان الفنان او العالم او الشاعر او العبقرى يجب ان يأخذ من داخله ليصل الاسباب بين الداخل وبين العالم الخارجى الكبير . ان هذا الخروج من الذات هو أول وسائل الامتزاج والفهم والكشف . وبهذا صارت الحقائق العلمية تكشف واحدة بعد أخرى — يكشفها العلم — ثم يسلمها للفن فيتناول تلك الحقائق فما زال يجري عليها خياله وعبقريته حتى يجيء منها مزيج جديد . مخلوق ، سمه كما شئت ، هو ذلك المخترع الذي هو حيناً بالراديو وحيناً آخر طيارة وهكذا ... هذه الناحية من التقدم الفنى ولا أقول العلمى في نجاح مطرد ... وسيظل ذلك النجاح مطرداً ، كما سيظل وقوف الانسان في ناحية الهمجية البدائية ثابتاً

والنتيجة ان تختلف القوتان المسيطرتان ، هذه جامدة كالقلب الذي ركب وانتهى . والثانية تبدل وتشكل وتتجدد وبذلك تتقدم . والخلاصة ان البدائي الهمجي المطي بالكاذب يسلمه العلماء ويكسوه المخترعون وهو لم يستعد بعد لذلك أقل استعداد . ولا أخذ لذلك أقل أهبة فيسيء استعمال ما سلح به . وما ذلك الخراب والدمار الذي ترونه إلا النتيجة الحتمية للفرق بين قوتين — اخلاقية وقفت جامدة صماء — وأخرى علمية فنية تثب وثناً الى الأمام هذا رأي روبنسون وهو رأي رائع جليل . غير ان العلاج عسير جداً . وخلاصته ان يجيء قوم من هؤلاء القادة ويكونوا مستعدين لمحاربة ما اصطلحت عليه الاجيال جميعاً من ناحية الآداب والاخلاق فيفكرون فيها تفكيراً جديداً يستعرضونها كما يستعرضون الحقائق العلمية على ضوء آراء غير متحيزة لاحد ولا لشيء . ثم يبشرون بأرائهم ويكافون في سبيل نشرها . زد على روبنسون قائلين : وهل هؤلاء القادة لم يحبوا في التاريخ ؟ ما رأيك في هذا الرسول وذاك وفي هذا المصلح الذي اضطهد وذاك الذي قتل ؟

يجيب — ويجب معه ولز — نحن في حاجة الى ما يسمى بالانجليزية Team work — أي عمل اجتماعي — جهد علمي مشترك يتنازل عن العصبية والقوميات .... وأين هو ??? خلاصة هذا القول ان الفن قوة ديناميكية — قوة خلاقة مبدعة وقد أبدى شوبنهاور هذا الرأي قائلاً : ان الفنان يتزوج موضوعه ليولد من ذلك الزواج عمل فني . فاذا أردنا ان نصف الفن — قلنا هو القوة الخالقة ...

وفن الحياة اذن هو القوة التي تخرج من الحياة ثمرة ومن تجاربها شيئاً نفسياً أي ان فن الحياة هو ذلك الفن الذي يأخذ بيدنا الى آفاق غير منظورة وتجارب غير معروفة فينشئ لنا أو يبدع من تلك التجارب والآفاق شيئاً حقيقياً ملموساً نابضاً بالحياة والخير .... الملح سؤالا يتردد على شفاهكم جميعاً . أليس أفراد القطيع متشابهين ؟ أليسوا آدميين ؟ وهؤلاء



القادة والزعماء، أليسوا كذلك آدميين؟ فما الذي يميز هذا عن ذلك؟ ولماذا تقول ان أفراد القطيع يمارسون الحياة كحياة غشيمة فجأة. وأما الآخرون فيمارسون الحياة فناً رفيعاً سامياً؟ يقتضي الرد على هذا السؤال بعض الامام بمبادئ سيكولوجية مقررّة. يجب ايها المتسائل ان تعرف ما هو الفكر الانساني وكيف يعمل وإلى أي صنف من الناس ينتمي هذا او ذاك. ان الفكر الانساني بايجاز مجموعة من الغرائز المكدسة والكفايات والمواهب الموروثة تنمو في وسطها شجرة هي شجرة الذات او الـ Ego وهذه الشجرة انانية بطبيعتها ونحن على تعبير أدلّ egocentric اي مركز حول الذات، وان الطفل ليضع كل شيء في فمه ويكاد يلتهم العالم كله لو استطاع وليست المدنية والثقافة إلا وسائل لسكبج ذلك التركيز على صالح الذات. والواقع ان مقياس الفضيلة في نظري هو مقدار ما نستطيع ان نكبح من هذا الانصراف الى الذات. نحن لا نستطيع — ولا يجوز لنا — ان نقتل ذلك الحرص على الذات فهو أس الحياة والعمران ولكن الانصباب على الذات، هو أس كل ضعف وكل شقاء وهو آفة ذلك القطيع الذي حدثتكم عنه. ويكفيكم ان تنظروا الى حيوان كالحمار. ان له اطرة طويلة معناها انصبابه على نفسه وهو لا يفيق الا حين يدعوه داعٍ كالأكل والشرب وهو لا يعبأ بالحمار الذي يجاوره ولا يهيمه إلا مطالبه الخاصة، إلا حاجاته البدائية من غذاء وتناسل

أغلب الناس ايها السادة يمارسون الحياة على طريقة الحيوان. حياتهم انصباب تام على ما يخص نفوسهم. وقد يعيش الانسان في دائرة من عالمه الخاص ولا يرى الا بمقدار ما يحتاج اليه عالمه الخاص من الرؤية ولا يتحرك الا بمقدار ما يحتاج اليه عالمه الضيق، معاشرته لغيره مبنية على المنفعة الخاصة، حركاته جميعاً، تدفعه اليها ذاته المسيطرة عليه. وقد كتب برتراند رسل كتاباً ضخماً عن السعادة فأرجع كل اسباب الشقاء الى هذا الانصباب وأضيف أنا الى ذلك الانصباب عامل المنفعة والفرق بين العبقريين وهؤلاء الافراد من القطيع هو ان العبقريين ينسون ذواتهم ولا يبالون بمنفعة خاصة. وكل تقع يجبيء إما يأتي عرضاً. ولذلك يكون أوقع وأسمى وأعم. ما من عبقري ولافتان نظر الى المنفعة الذاتية وانما انصرفت عبقريته أو فنه الى غرض كبير ينصب على درسه وفهمه فتأتي المنفعة رائعة جليلة وخالدة على الأيام. وقد كتب موروي كتابه عن فن الحياة فقسّمه الى فنون منها فن التفكير ومنها فن الحب ومنها فن العمل ومنها فن المشيب وأنا أراها كلها فناً واحداً. وان تفرعت وتعددت الصور. وهذا الفن الواحد قائم على شيئين. العلاقة بين الفرد والوسط وعلى سيكولوجية الفرد بعينه. أما العلاقة بين الفرد والوسط فقد أفرد لها علماء النفس فصولاً طويلة منها ما كتبه هافيلوك أليس في كتابه الاخلاق والناس Manners & Men وما كتبه كيسرلنج عن العلاقة بين الفرد والنوع



وهذه العلاقة بين الفرد والنوع او بين الفرد والوسط هي بعينها مسألة الخروج من دائرة النفس وهي بعينها قضية الحب — فما الحب الا علاقة قوية بين اثنين على انها قضية لا يفصل فيها غير سيكولوجية الفرد وطرائق تفكيره ، وطرائق التفكير محكومة بالوراثة وبالتربية . والوراثة عنصر هام جداً لا يصح ان نغفلهُ من حسابنا ونحن نرث الذكاء ونرث استعدادات خاصة واتجاهات نحو هذا الشيء او ذاك . يرث أحدنا بنية مستعدة لهذا المرض او ذاك . وأما التربية فكبح للجراح الغرائز وبخاصة غريزة التركيز على الذات وليست بأي حال قتلاً لهاتيك الغريزة التي لا يمكن ان تموت . والتربية ايضاً تدعو الناس الى فهم الغرض من التربية وهو سلامة التفكير — وكل الكتب التي كتبت عن فن التفكير كدمنت وشافيتسيري وغيرها نصت أولاً على ان التفكير السليم هو التفكير المرن المستعد لقبول اشياء جديدة والتطلع الى آفاق مرتقبة وان الانسان ليحار في بساطة العبقرى اذ يراه كالطفل يجد في كل شيء عجباً وفي كل مسألة ألف وجه . ونصت ايضاً هاته الكتب على ان التفكير يجب ان يؤدي الى العمل والى الاثمار . ان جيته كان يدعو التفكير العقيم — النشاط الفاقد للصفة — وكان يشبه ذلك الفكر العقيم « بالنحلة » التي يضربها الصبى في الطريق فتدور وتدور ثم تقع مفلسة . ولكي يكون التفكير مثمرًا؟ يقول موروى في كتابه انه يجب ان يحدد الهدف على شرط ان لا يكون الهدف اسعاد انفسنا وعلى شرط ان لا يكون قائماً على مضالحنا الشخصية . ويقول ان الانسان منا في هذه الدنيا يشبه السباح على وجه الماء كلما كثرت مثقلاته كلما غاص الى قعر الماء وكلما صعب عليه ان يسبح الى الشاطئ . فن الشجاعة ان نقطع ما يعوق تفكيرنا ويثقله ولو فكر الواحد منا لوجد ان تلك المثقلات اليومية صغيرة وكثيرة بحيث ان أكثرنا يقيد بها وتمنعه عن أي هدف كبير أما فن الحب ، — فيجب أن يقوم على فهم ما هو الحب — فتعريف الحب هو أنه « نصف يبحث عن نصفه الضائع » . . . أي أنه بحثٌ ونصبٌ خلف عزيز مفقود . نصبٌ يتطلب التضحية ، وأكثر الناس يفهمون من الحب أنه أخذٌ بغير إعطاء فيعصرون الذين يحبونهم اعتصاراً ، وأساس هذا الأنانية ، وأعود فأكرر كما قلت أولاً أنه الانصباب على النفس ومحاولة اعطائها كل شيء ورأيها من ماء حياة الآخرين حتى ينضب ينابيعهم الآن ، قد ذكرت لحضراتكم ما هي الحياة وما هو الفن وبينت لحضراتكم كيف تكون الحياة فناً ، وبينت آفة القطيع الآدمي ، ألا وهي الانصباب على الذات بغير تفكير في الآخرين ، وبينت لحضراتكم أساس الصداقات والمحبات ، وهو نكران الذات وبينت لحضراتكم علة فساد العالم ألا وهو بقاء الاخلاق في قوالب جامدة مع تطور العلم والفن تطوراً سريعاً ، ولعلي اذ وصفت الداء قد وصفتُ الدواء لذلك



## اقوال تؤثر

- ١- اذا المرء أفشى سره بلسانه ولام عليه غيره فهو أحمق  
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق  
الأخف بن قيس
- ٢- من ظلم نفسه كان لغيره أظلم . ومن هدم دينه كان لمجده أهدم
- ٣- أريد رجلاً اذا كان في القوم وهو أميرهم كان كبعضهم . وإذا لم يكن  
أميرهم فكأنه أميرهم  
الامام عمر
- ٤- قال سقراط ان الطالح يحيا ليأكل ويشرب والصالح يأكل ويشرب ليحيا
- ٥- قيل لديماراس هل صمت لأنك أحمق أو لأنك حُصرت عن الكلام  
فأجاب ان الأحمق لا يصمت
- ٦- قال سقراط انه ليس اثينياً ولا يونانياً ولكنه من أهل العالم
- ٧- قال كاتون أفضل ان يقول الناس لماذا لم ينصب له تمثال على أن يقولوا  
لماذا نصب له
- ٨- سئل طاليس ما أصعب شيء فقال ان يعرف المرء نفسه وسئل ما اسهل  
شيء فقال ان ينصح لغيره
- ٩- كان سقراط يقول اقل الناس حاجات أقربهم الى الآلهة
- ١٠- سئل حكيم عن رجل غنيّ بخيل فقال انه لا يملك امواله ولكن  
أمواله تملكه
- ١١- قيل لارسطوطاليس ما أفدت من الفلسفة فقال ان أفعل غير مأمور  
ما يفعله غيري خوفاً من القانون
- ١٢- دخل ديوجنيس الحكيم مكاناً قذراً فقيل له في ذلك فقال ان الشمس  
تدخل الأماكن القذرة ولا تتنجس



# علم النفس

وأثره في الصناعة الحديثة

للاستاذ سي ، بي ، فوزي (١)

نقلها الى العربية : حسن السلطان

يختلف هذا البحث عما تقدمه من الابحاث . تلك تناولات القواعد النظرية لعلم النفس الحديث بينما اختص هذا بشرح الناحية العملية الاقتصادية منه . ولهذا سميت هذه الفاحية من علم النفس بعلم النفس المهني أو علم النفس الصناعي وهي وإن كانت حديثة التكوين وتاريخها لا يزيد على بضع سنين ، ذات تأثير عظيم جداً في تطور الانتاج الصناعي

## نصبر ناريخي

قطع علم النفس أو علم العقل والسلوك خلال الحسين السنة الماضية شوطاً بعيداً في مضمار التقدم والتطور وكان قبل ذلك لا يختلف عن الفلسفة اختلافاً بيناً فكلاهما بحث عن تحليل مظاهر الحياة العقلية تحليلاً غريباً . فلما ترك الباحثون النفسيون اساليبهم القديمة العقيمة وانتهجوا نهجاً تجريبياً في البحث تطورت علومنا النفسية تطوراً مريداً حتى أصبح السيكولوجي المعاصر لا يكتفي بدراسة نواحي التفكير وبإنكار النظريات الخاصة بعمل العقل بل يحاول دائماً توسيع أفق معارفه بالركون الى التجارب العلمية التي تضع حداً لكل حدس أو تخمين . ولم يقتصر عمله في مختبره على دراسة المظاهر العقلية وحدها بل تعداها الى دراسة المظاهر الفسيولوجية التي تلازمها وتصاحبها وتكون في منزلة الرأة العاكسة لصورها . فكان من نتائج ذلك ان استخدمت القواعد السيكولوجية لدراسة فعاليات مختلف نواحي الحياة العملية . وكان لزاماً على الباحث ترك مخبئه الذي كان يلجأ اليه كلما اراد الاستسلام الى التفكير والاستبطان متجهاً نحو المختبر والى التجارب العلمية . فعم انتاجه البيت والمدرسة ونفذت مبكراته الى المستشفى والمعمل

ان علم النفس علم عملي آخري بأن يدعى بعلم النفس المهني ، ذلكم لأن الباحث فيه



لا يقتصر انتاجه العلمي على الصناعة وحدها ولا يشمل ميدان عمله المصانع دون غيرها بل يضم اليه المخازن التجارية بأنواعها المختلفة والحوانيت بأشكالها المتباينة ودور المال كبيرها وصغيرها وجميع ما له علاقة بالمستخدمين والمستخدمين

ويرجع تاريخ علم النفس الصناعي في بريطانيا الى سنوات الحرب العالمية الماضية عندما تشكت «جمعية صحة عمال العتاد» <sup>(١)</sup> وأخذت تتحرى البحث عن ساعات العمل والوقت المضاع وما يصيب العمال من مرض ومن أضرار جسيمة وغير هذه من الأمور المختصة بصحة المستخدمين وبسلامتهم. ولسبب من الأسباب انحلت هذه الجمعية في عام ١٩١٨ وتشكت بدلها «لجنة البحث عن التعب الصناعي» <sup>(٢)</sup> من بين أعضاء «مجلس البحث الطبي» <sup>(٣)</sup> فتغير مجرى اهدافها واتجه الى البحث عن علاقة ساعات العمل وأساليبه بالتعب الذي يقاس به العمال من جراء كثرة ضغط العمل عليهم، مراعيًا في ذلك الكفاءة الصناعية للعمال وأساليب تحسين صحتهم. وفي عام ١٩٢٩ اتخذت هذه اللجنة لنفسها اسم «لجنة البحث عن الصحة الصناعية» <sup>(٤)</sup> لأنها اعترفت بتغيير وجهة مهمتها وتوسيع ميدان عملها حتى شملت جهودها جميع المشكلات الناشئة عن نقص الجدارة المهنية. ولقد تأسست قبل ذلك التاريخ اي في عام ١٩٢١ مؤسسة أهلية لدراسة المشكلات النفسية الصناعية بعيدة عن تأثيرات السلطة الحكومية سميت «المؤسسة الوطنية لعلم النفس الصناعي» <sup>(٥)</sup>. ويرجع الفضل في ظهور هذه المؤسسة الى جهود كل من الدكتور مايرز <sup>(٦)</sup> مدير المختبر السيكلولوجي بجامعة كمبرج يوم ذاك والمستر ويلش <sup>(٧)</sup> احد المشتغلين معه في ذلك المختبر. ولقد نمت هذه المؤسسة بفضل كفاح ذينك الرائدین حتى عمت أبحاثها جميع المشكلات الصناعية المهنية

وفي الولايات المتحدة الأميركية قامت «الهيئة السيكلولوجية» <sup>(٨)</sup> بالاشتراك مع «اتحاد جماعة البحث» <sup>(٩)</sup> بأبحاث على غاية من عظم الشأن وذات علاقة واسعة بمختلف شؤون العمال. إلا أن أسباب تقدم علم النفس الصناعي في هذا القطر تعزى الى جهود اساتذة الجامعات وكفاح القائمين على شؤون الجمعيات الصناعية، نخص بالذكر منهم مونستر برغ <sup>(١٠)</sup> وبنجهام <sup>(١١)</sup> ولنك <sup>(١٢)</sup> الذين وجهوا جل جهودهم الى دراسة الجدارة المهنية والى وضع مقاييس ثابتة لانتخاب العمال. ولقد قام السيكلولوجيون في المانيا بنصيبهم في إحياء الحياة الصناعية بعد ما منيت به من شلل خلال

(١) Health of Munition Worker Committee (٢) Industrial Fatigue  
(٣) Research Board (٤) Medical Research Council (٥) Industrial Health  
(٦) Research Board (٧) Dr. C. S. Myers (٨) National Institute of Industrial Psychology  
(٩) Personnel Research Federation (١٠) Munsterberg (١١) Bingham  
(١٢) Link



سنوات الحرب العالمية الماضية . ففي عام ١٩٢٢ بلغ عدد الشركات التي أسست لنفسها مختبرات سيكولوجية نيفاً وعشرين شركة ، كما ان الحكومة الالمانية يوم ذاك لم تأل جهداً لتأسيس عدد ليس بقليل من هذه المختبرات في مختلف المناطق الصناعية من البلاد . وفي روسيا لاقى علم النفس الصناعي اهتماماً عظيماً من الحكومة السوفيتية . فأسست عدداً كبيراً من المختبرات السيكولوجية التي تعد بلا شك من أغنى امثال تلك المختبرات بتجهيزاتها وأوفرها نصيباً بعدد الشغليين بها من الباحثين النفسيين . ولسنا بمغالين اذا ما قلنا ان جل البلاد الاوربية اهتمت الاهتمام اللازم بهذه الناحية من علم النفس ، ولكننا لا نجد متسعاً في هذا البحث المقتضب لذكر جميع المشتغلين بهذا الميدان والذين اقلوا علم النفس الصناعي على دعائم ثابتة

### الغراف علم النفس الصناعي

ان اول الاهداف التي يستهدفها علم النفس الصناعي تعميم السعادة الانسانية بين مختلف طبقات العمال وأصحاب المهن . ومن الطبيعي ان ذلك لا يتم الا بالبحث للتوفيق بين مؤهلات ممثلي المهن وأمزجتهم وبين نوع الحرف التي يحترفونها . وبالببحث لاصلاح الظروف التي يتم بها العمل ولتقليل المصاعب الناشئة عن ضغط الاعمال على العمال ايضاً . ومما لا ريب فيه أن العامل الذي وهبته الطبيعة المؤهلات اللازمة للعمل والمزاج الملائم لمقتضياته والذي يقوم بعمله في مكان توافرت فيه جميع شروط الاضاءة الجيدة والتهوية الكافية وجميع أسباب الراحة والذي توطدت علاقته برفاقه من العمال وبرؤسائه فأحبهم وأحبوه ، وهو عامل أكثر اطمئناناً وأبلغ سعادة وأحكم كفاءة من غيره من العمال . واذا ما ساءت العوامل النفسية وغير النفسية المحيطة بالعمال ضاعت جميع محاولاته الجسمية والنفسية وتبددت جهوده العقلية سدى وقد وجد الباحثون النفسيون ان اصلاح تلك الظروف ينمي تلك الجهود ويعزز من تلك المحاولات ويجعل العمال يتجهون في اعمالهم وجهة منتجة فيتضاعف الانتاج ويجود نوعه ويحيي العمال في اطمئنان وفي سعة في العيش

ولم تؤد تلك الاصلاحات الى مضاعفة الانتاج وجودة النوع حسب ، بل قللت من تغيب العمال عن العمل ومن تمارضهم وخلصتهم من كثير من الامراض التي تنتابهم ، وأبعدت عنهم الحوادث الفجائية التي كثيراً ما أزهقت ارواحهم فرملت أزواجهم وبيمت اولادهم ، وحسنت من علاقة العمال بأصحاب الاعمال فقللت الاختلافات وتلافت الاضرار الناجمة عن تلك الاختلافات

ولم يقتصر علم النفس الصناعي على الاهداف المارة الذكر . فميدان عمله الواسع يشمل جميع نواحي الحياة المهنية حتى ان قصفاً منه اختص بالبحث عن اجور العمال بالنسبة لنوع العمل الملائم لمؤهلاتهم الموافق لأمزجتهم . فليست مؤهلات جميع العمال واحدة وليست أمزجتهم



متماثلة ومنذ ان لوحظت الاختلافات بين الامزجة والمؤهلات احتلت الفروق الفردية بين العمال محلاً ظاهراً في علم النفس الصناعي

ان تحليل مختلف المهن تحليلاً سيكولوجياً هو ولا ريب اولى مراحل القيادة المهنية الناجحة والانتخاب المهني الصائب . وبغير ذلك يعصر على المهيمين على شؤون العمال أن يقودوا عملهم ويسيروا اتباعهم ويوجهوهم بحسب ما تدعو مصلحة العمل . ونقصد بالقيادة المهنية تقدير القابليات الكامنة للأفراد ومعرفة صفات أمزجتهم والاطلاع على ما اكتسبوا من معارف ومن تثقيف . وبذلك يتسنى للقائمين على شؤون العمال أن يصوروا لأنفسهم صورة جلية عن أولئك العمال ، تمكنهم من المقارنة بين مؤهلاتهم وبين مقتضيات المهن التي ستسند اليهم . اما انتخاب المهن فنعني به قياس درجة حصول العامل على بعض الصفات والمؤهلات التي تمكنه من القيام بمهام المهنة الخاصة التي ستوكل اليه خير قيام

وتقاس مؤهلات العمال باختبارات خاصة ابتكرت لتلك الغاية . فتعين قابلية القيادة بين العمال تتبع اختبارات تصور قابليات المتبحرين العامة احسن تصوير . اما في الانتخاب المهني فيتبع نوع آخر من الاختبارات التي تكشف الستار عن قابليات العمال الخاصة التي يقتضيها نوع العمل الذي سيوكل أمره اليهم . ولدينا شواهد ليست بقليلة العدد تدل على ما لاتباع الاساليب السيكولوجية من شأن في تعيين قابلية القيادة المهنية وفي الانتخاب المهني أيضاً فقد دلت الابحاث الدقيقة التي اجرتها «المؤسسة الوطنية لعلم النفس الصناعي» ان نسبة عدد

الناجحين في أعمالهم من الذين اتبعوا استشارتها من الاولاد والبنات كانت ٩٣٦ ٣٪ منهم . أما الذين أمهلوا نصحبها وأعرضوا عن ارشادها فكانت نسبة الناجحين منهم ٥٣٩ ٥٪ فقط وتنضح أهمية الاساليب السيكولوجية لاختيار العمال من مقارنة النجاح الذي أصابه العمال الذين تم اختيارهم بحسبها ، بالنجاح الذي أصابه أولئك الذين اختيروا بغيرها من الاساليب . فقد تم انتخاب ٧٠٪ من عمال أحد المصانع بالامشعانة بالاختبارات السيكولوجية وانتخب ٣٠٪ منهم بأساليب قديمة لا علاقة لها بالبحث النفسي . وبعد مدة وجيزة فصل ست وثلاثون من عمال ذلك المصنع إما لقلة كفاءتهم وإما لثبوت عجزهم عن العمل . ولدى التدقيق اتضح ان سبعة من العمال المفصولين ، أي ١٩٥ ١٪ منهم ، كانوا من الذين تم اختيارهم بالطرق السيكولوجية الحديثة ، وأما الباقون وعددهم ٢٩ عاملاً ، أي ٨٠٥ ٨٪ منهم فكانوا من الفئة التي تهاون أصحاب المصانع في أمر اختيارها

ويمكن ان يعين مقدار نجاح العمال في مهنتهم بجمع الدقيق من الاحصاءات عن الغلطات التي يرتكبونها ، وعن أيام مرضهم وعن الزمن الذي يبدونه بلا جدوى وعن عدد الحوادث



الغجائية التي تهدد حياتهم من حين لآخر . وقد دلت أمثال هذه الاحصاءات على ان العمال الذين تم اختيارهم باتباع الاختبارات قياس المقدرة وقابلية النجاح هم أثبت العمال على العمل وأقلهم تعرضاً لتلك العوامل الخافضة للانتاج المسببة لكثرة الاضرار . كما أنها أثبتت كثرة حدوث تلك العوامل كلما ازداد انتخاب العمال سوءاً وقل الاهتمام بالاختبارات السيكولوجية والتدريب المنظم أمر أساسي لمن يشهد سرعة العمل والاتقان فيه . فانتباه العمال المستجدين لما يقوم به زملاءهم الأقدمون ، واسترشادهم بنصح الملاحظين او من يشرف على أعمالهم يدعو الى بطء تعلمهم أسرار الحرف التي سيحترفونها ولقلة حذقهم اياها ، ولاجتنابهم الغلطات التي اعتاد الآخرون ارتكابها . وهناك نواميس سيكولوجية يؤدي اتباعها الى سرعة تعلم العمال منهم ، ولا تقاها كل الاتقان . وقد أثبت التجارب ان تدريب من استجد من عمال أحد مصانع الشيكولاتا تدريباً منظماً انقصر زمن بلوغ الكفاءة العليا في المهنة من ثمانية عشر شهراً الى ثلاثة أشهر ونصف شهر فقط

### العوامل المؤثرة في بيئة العمال

وما أيدته النتائج ان بيئة العمال ذات تأثير بعيد المدى في صحة العمال وسعادتهم وفي كفاءتهم العملية . وأولى القضايا المتعلقة بمحيط العمال التي عالجها السيكولوجيون في أبحاثهم مشكلة الاستضاءة . ولهذه المشكلة ثلاث نواحٍ مهمة : كثافة الاضاءة ونوعيتها وشدة وهجها . فالاستضاءة الرديئة تؤثر في أعصاب العين وتعرض العمال لاجهاد عصبي كبير ولتختلف أمراض العيون . وإذا ما أصحح من أمر الاستضاءة زاد الانتاج زيادة لا تقل عن ٢٥٪ . وقد تعرض العمال للاخطاء ولا ارتكاب كل ما من شأنه ان يلحق اضراراً في العمل والمعمل . وشبهته تأثيرات التدفئة المضطربة والتهوية غير السكاملة ، بتأثير الاستضاءة . فما وجد ان رفع درجة الحرارة في أحد مناجم الفحم سبعة درجات فهرنهايت ضاعف عدد المرضى من العمال بنسبة ٧٤٪ . ولوحظ أيضاً ان اعتدال درجة حرارة الهواء في المعامل والمناجم ذو تأثير نفسي عظيم في العمال خاصة وإن الهواء المحيط بأجسامهم ، الخالي مما تعلق به من مواد عضوية او كيميائية ، أشد مفعولاً من الهواء الذي يستنشقونه . والحقيقة ان التهوية والتدفئة من الأمور المهمة التي تبعث الراحة والاطمئنان في نفوس العمال وان اختلاف نوع العمل يقتضي تغييراً في كل من هذين العاملين . وقد لاقى الصوت ، وهو من أركان بيئة العمال المادية ، عناية فائقة من الباحثين . فقد دلت تجارب « لجنة البحث عن الصحة الصناعية » على ان صحة العمال في مصنع من مصانع الحياكة تحسنت تحسناً ظاهراً بعدما استعمل العمال صمامات أذنية تقيهم شر الأصوات المزعجة المتولدة من احتكاك الآلات



ولم يهمل النفسيون البحث عن الزمن الذي يتطلبه إنجاز عمل من الاعمال ، وعن الحركات التي يأتيتها العمال عند ما ينتقلون من موضع الى آخر او عند ما يتناولون المواد التي يتداولونها في أعمالهم . وقد ظهر من بحثهم هذا مبلغ علاقة الاختلافات الفردية بين العمال بأساليب عملهم وبقابلياتهم كما أنها أثبتت بطلان القول القديم بوجود سبيل واحد فقط يؤدي الى إنجاز عمل واحد إنجازاً كاملاً . فثمة أصول متعددة تتبع لانجاز الاعمال وللحصول على أطيب النتائج . واختيار الاصول الملائمة للشخص من الامور التي تكشف عن خلقه وفطرته المثلتين في شخصيته كذلك توصلوا من دراستهم لزمن العمل وحركات العمال ، الى معرفة تلك الاصول الاساسية وأثبتوا امكان التخلص من كثير من الحركات المضيئة غير المجدية ، ومن تبديد الجهود التي لا طائل ورائها بتدريب العمال تدريباً دقيقاً واتباعهم لتلك الاصول . فقد تؤدي قلة العناية بأمر ترتيب المواد على مناضد العمل الى اضطراب العمال للقيام بعدد من الحركات المتعبة المضيئة كما ان ثقل الآلات وعدم العناية بأمر وضعها كثيراً ما يسبب تبديد جهود لا داعي له ويتضح مما تقدم أن السيكولوجي يهتم بكثير من الأمور التي يحسبها أصحاب المعامل ومراقبو الاعمال وحتى العمال أنفسهم تافهة لا تستحق العناية والاهتمام . وذلك لأنه يدرك من تجاربه أن تلك الأمور التافهة ذات أثر فعال في مقدار الانتاج وفي نوعه وتستهلك جزءاً لا يستهان به من الفعاليات التي يضطر لصرفها العامل في عمله اليومي

أما التعب فمن الامور التي يتعذر على الباعث قياسها قياساً مباشراً خاصة وان الجهاز الذي ابتدعاه دوغلاس وهولدين<sup>(١)</sup> لا يجدي نفعاً في قياس ما يتطلبه العمل من جهد فيسيولوجي . وتدل الاقيسة الذاتية المستمدة مما صرح به العمال المتقدمين في المهنة على ان تزايد سرعة العمل المتأتمية من تزايد سهولته تدعو الى توفير في الجهود التي يبذلها العمال لانجاز اعمالهم . ولدينا كثير من الشواهد التي تدعم هذا الزعم . فقد تزايد انتاج احد المناجم ١٥ ٪ . بعد ما تدرب العمال على القيام بعملهم بسرعة وبسهولة تامتين . وتزايد انتاج احد مصانع الشيكولاتا بنسبة ٣٦ ٪ . بعد ما ابدلت مقاعد العاملات باخرى جديدة سهلت عليهم الحركة ومكنتهم من تناول ما يحتاجون اليه من المواد بدون كبير عناء

وقد عني السيكولوجيون بدراسة اساليب تنظيم العمل وعلاوة على دراستهم ما يتبعه العمال من طرق في أعمالهم . وتتألف عوامل تنظيم العمل مما يأتي : سعة المعمل ، ونوعيته ، ووسائط الانتقال بين اقسامه ، وساعات العمل ، ووحدة العمل . فلسعة المعمل ووسائط الانتقال تأثير في ما ينهض به العمال من اعمال . فضيق المعمل ورداءة الوسائط تعيق العمال عند ما يريدون



الانتقال من موضوع الى آخر في داخل العمل وتسبب لهم حوادث فجائية تلحق بهم اضراراً بالغة اما مجموع ساعات العمل في الاسبوع الواحد فقد تناقص تناقصاً كبيراً خلال الاعوام العشرين الماضية نتيجة للتجارب التي أثبتت ان الملل الذي يشعر به العمال من اثر طول الوقت يسبب انخفاض مستوى الانتاج . وقد اوضحت ذلك تمام التوضيح الدراسات الدقيقة التي قامت بها « جمعية صحة عمال العتاد » خلال أيام الحرب العالمية الماضية . ومما عني به البحوث أيضاً الأثر الذي تتركه فترات الاستراحة خلال ساعات العمل في نوع الانتاج وفي مقداره . فقد شوهد ان الانتاج يزيد زيادة تتفاوت بين ٥ ٪ و ٢٠ ٪ عند ما يسمح للعمال بالتباعد بفترات استراحة خلال مدة العمل

ومن أغرب ما استرعى نظر الباحثين النتائج التي توصلوا اليها بدراساتهم «وحدة العمل» ونعني بوحدة العمل مقدار ما يستطيع العامل انجازته منه خلال مدة معينة . وقد ظهر مما قامت به « المؤسسة الوطنية لعلم النفس الصناعي » من دراسات تحتص بأحد معامل المربيات ان انقاص كمية الفواكه التي توضع أمام العاملات المكافآت تصنيفها أدى الى زيادة سرعة التصنيف والمضاعفة كميات ما يصنف منها دون ان تظهر على العاملات آثار التعب او الملل . كما انه شوهد ان كميات العمل في احد مصانع الاسلحة تضاغت وان الانتاج فيه ازداد زيادة كبيرة بعدما جرى العمل الذي كانت تقوم به العاملات اجزاء صغيرة . وعلى هذا فان كميات العمل ومقادير الانتاج ذات علاقة وثيقة بوحدة العمل

ومن العوامل المؤثرة في بيئة العمال السيكولوجية نظام اجور العمال ، ونظام ترقيةهم وطرق مراقبة العمال اثناء قيامهم بواجباتهم . وربما كان التنظيم العام في العمل أكثر هذه العوامل تأثيراً في بيئة العمال النفسية . فإذا ما حصل خلل في نظام ضبط الانتاج او في نظام حفظ المخازن تعرقلت مجاري العمل عن سيرها الطبيعي وإذا ما نقصت مادة من المواد وعجز المصنع عن تحضير ما يحتاج اليه العمال من مواد أولية في الوقت المناسب توقف دولاب العمل مدة وتأخر العمال عن اتمام واجباتهم . وهذا ولا ريب ضرر في العمل لا يستهان به ، وضباع في المال وفي الجهود . فالارتباك في تنظيم العمل يدعو الى تبديد الجهود والى خلق العراقيل للعمال ولاصحاب العمل معاً

ويكاد يجمع الباحثون على ان نسبة اجور العمال وثقتهم ببقائهم في أعمالهم من البواعث الاساسية لتشجيع العمال ولكثرة اهتمامهم بواجبات عملهم . وان ننسى فلا ننسى الشعور بالفخر الذي كان يمتلك أصحاب المهن اليدوية الأقدمين عند ما كانوا يحققون عملاً من الأعمال . ومما يؤسف له اننا لا نجد أثراً لهذا العامل المهم في مصالعتنا الحديثة . ومع ذلك



ففي الامكان خلق الشعور بالتفوق وبالفخر في نفسيات عمالنا بمكافأة المتفوقين منهم على قدر ما ينتجه كل منهم من وحدات العمل خلال زمن معين . وفي الامكان التخلص من السأم الناشء عن القيام بعمل واحد مدة طويلة ، بتحريك نفوس العمال بحوافز خاصة بين حين وآخر وبذلك تزايد رغبة العمال قوة ويتضاعف انتباههم لشؤون أعمالهم شدة . فان احصاء الانتاج مثلاً خلال فترات العمل يبعث روح التسابق في نفوس جماعات العمال ويذكي رغبة التفوق في أفئدتهم

ومما لا ريب فيه ان مراقبة العمال اثناء قيامهم بأعمالهم أهم ما يؤثر في المحيط النفسي للعمال فالرقابة الرديئة تدعو الى شعور العمال باللبؤس والمرض وبالاضطراب النفسي وبعدم الاستقرار وبقلة الكفاءة . وقد اعتاد أهل الصناعة ترقية العمال المتفوقين في أعمالهم الى مصاف المراقبين الذين تعوزهم الدراية في المراقبة وتنقصهم الروح الطيبة في الارشاد او في النصيح . والمراقبة المجدية تتطلب أكثر من المهارة في العمل والدقة في الصنعة . فهي تتطلب معرفة العمال فرداً فرداً ومقدرة خاصة على مزج اللطف والشفقة بحسب النظام . وهي ولا شك أهم حلقة من حلقات الرقابة في المصانع . وقد عني السيكولوجيون بدراسة تأثير الرقابة في صحة العمال وسعادتهم وكفاءتهم عناية كبيرة . فأثبتت التجارب التي أجراها إيلتون مايو بالولايات المتحدة على عدد كبير من العمال لمعرفة استجاباتهم لنوعية الرقابة إن سوء الرقابة يدعو الى تفشي المرض بين العمال وإلى كثرة تغيبهم عن العمل وإلى ارتكابهم لكثير من الأخطاء والهفوات وخلاصة القول ان الصناعة الحديثة متجهة بجميع نواحيها نحو الآلية المطلقة . وينشأ عن هذا الاتجاه تعقيد في مشكلات العمال وتزايد في المسؤوليات الملقاة على كواهلهم سواء أجسمية كانت تلك المسؤوليات أم نفسية . وكما ان الآلة خلصت العمال مما كانوا يقاسونهُ من تعب ومن استرقاق ، فانها خلقت لهم مشكلات كثيرة نتيجة للاستمرار في العمل المتكرر وفرضت عليهم استدامة تركيز انتباههم وسلبتهم قابلية الابتكار التي كانوا يتمتعون بها عندما كانوا يصنعون الأشياء بأيديهم . فاذا لم يكثر أصحاب المعامل لازالة التوتر العصبي من نفسيات عمالهم ، ساء حالهم وتردى عملهم . وليس بعسير على أصحاب الأعمال ملافاة تلك النقائص بحسن اختيارهم للعمال وباسناد الأعمال الى من له قابلية لها ، وإلى من له جلد على العمل المتواصل المتكرر ، وباستعمال وسائل تشجيع العمال وتغريهم بمزاولة أعمالهم المتشابهة المضيئة مدة طويلة . وبالسماح للعمال بمزاولة ضروب الرياضة والالعاب والاستماع لأنغام الموسيقى في فترات راحتهم التي يجب ان تتخلل ساعات العمل المتواصل . وعلى الصناعة الحديثة ان تركز الى السيكولوجي كلما نشأ اضطراب في العمل او نشب خلاف بين العمال وأصحاب الأعمال ، فهو وحده الذي يستطيع حل أمثال تلك المشكلات



# اثر طاغور<sup>(١)</sup>



في ذهن كاتب انكليزي بعد مقابلته

[ كتبت خاصة للمقتطف ]

— ١ —

ليس باليسير ان توصف العظمة حقّ وصفها !  
يقف الانسان وقفة روعة وتهيب امام مشهد غروب الشمس او عنان جبل ذاهب في  
القضاء او سهل فسيح يغمره الثلج . فاذا حاول ان يصف شعوره عجزت عن ذلك الالفاظ  
هذا هو الشعور الذي يملك على الانسان عقله ونفسه في مجلس شخصية فذة . اننا نحس  
بمعاني القوة تنطلق منها حتى نكاد نلصقها فاذا حاولنا وصفها وتحليلها ابنا بالخيبة . وكثيراً  
ما يكون هذا الشعور مقلقاً هداماً لكرامتنا النفسية اذ يجعلنا نحسّ بضعفنا وعجزنا . على  
انه يضرب حولنا ، احياناً ، نطاقاً من الطمأنينة والسلام ، ويبعث في نفوسنا شعوراً بالجميل  
وتقديراً للمنة ، اذ نحسّ بأن ضعفنا بالغاً ما بلغ ازاء هذه الشخصية الطاغية علينا بقوتها ،  
لا يمنعنا عن السمو بعيوننا الى الاعلى

وعظمة المر رابندرانات طاغور ، الشاعر والمعلم والفيلسوف الهندي ، من هذا القبيل  
انك تشعر بسكون الكون في مشيته الوقورة . انك ترى روعة الزمن وقد جرّد من  
عنه في خصله الفضية وفي قسّات وجهه التي تحسبها منحوتة في العاج . انك تسمع موسيقى  
الاجرام في غنة صوته الموسيقي . انك تثق بأن الثقافة لا تعرف حدوداً من الوطن والجنس  
اذ تصغي الى حديثه الانكليزي الفصيح ، وتنملي من معرفته الوافية بأدب غير أدب قومه  
وفن غير فنهم وحضارة غريبة عن حضارتهم

— ٢ —

قال : كيف نستطيع ان نحكم على بيان عصرنا لمعرفة الآثار التي قد تنعم بنعمة الخلود ؟  
ان بيان كل عصر هو نتيجة عوامل واحوال مهدت له السبيل في عصور سابقة ، وهو  
بدوره يمهد السبيل لبيان جديد في عصر تالي . فلا بد لنا من موضع للنظر المشارف  
لنستطيع الحكم على الانسان وأسلوبه في الافصاح عن نفسه . والمسافة في الزمان والمكان

(١) ولد في ١٨٦١ وتوفي ١٩٤١



لا مندوحة عنها لهذا الحكم لان القرب يحير البصر لكثرة ما نراه من الدقائق فيمتنع علينا النظر الشامل وتتعذر رؤية الكل كلاً لا أجزاءً متفرقة من كلٍّ  
سألني كثيرون عن أحب الشعراء اليّ وأي رجل أعظم الرجال في نظري . وانا لا نستطيع ان نحصر التفوق في شخص واحد لكثرة المتفوقين . تلقيت علومي في العصر الفكتوري فأنا أجيد لغته وأفهم أدبه ولكنني لا أستطيع ان أفهم تعبيرات الأدباء المحدثين . قد تكون هذه التعبيرات غاية في الابداع وقد تنطوي على صفات تضمن لها الخلود كالصفات التي تمتاز بها أشعار شلي وكتيس<sup>(١)</sup> ولكنني لا أفهمها

ان لغة كل أمة كالأمة ذاتها . فاما ان تتقدم وإما ان تموت . انها لا تستطيع ان تجدد في مكانها . فالانكليز يتكلمون بلغة تشوسر<sup>(٢)</sup> الآن . ولو أتيح لتشوسر ان يطلع على أسلوب الكتابة في العصر الأليصاباتي — عصر شكسبير وفرنسيس باكون — لحسبه رطانة محدثة . هكذا ينظر أدباء العصر الفكتوري الى أساليب الادب الحديثة

وفي لغة كل شعب تتردد أصداؤه الزمان ! لقد انقضى عهد التجوال الشعري في الريف والطمانينة في البعد عن المدن . ونحن الآن في غمار عهد لطنين السندان فيه واصطخاب الآلات أعظم شأن . فاللغزات المتسقة الغنائية التي كنا ننشدها في امسنا الغابر قد انقضى عهدها وحلت محلها العبارات المقتضبة والشعر المطلق في يومنا هذا القلق المضطرب . وليس هذا بالأمر الذي يؤسف له . فكل فترة يزكو فيها الانتاج العقلي والفني تعقبها فترة راحة تخذ فيها النفس الى السكينة لتستجم قواها فاذا بدأت فترة الانتاج التالية اتصفت أساليبها بالعنف وبالرجوع الى السداجة مستوحية دوافع البشر الاولى في الخلق والابداع

\*\*\*

ان الثقافة الحقيقية لا تعرف حدوداً من البلدان والأجناس . فهي تحيط بالأرض كالجو وكما تقع في الجو على مناطق مختلفة من حرارة ورطوبة ولكنها على اختلافها متصلة الاطراف تقع كذلك في الثقافة على مناطق متصلة رغم اختلافها . فالشرق والغرب على اختلافهما متصلان حتى ليفنى أحدهما في الآخر في بعض النواحي . لأن العالم لا يعرف الآفاق الضيقة فالشرق تغلب عليه الطمانينة يخالطها الادراك الصبور الذي يؤمن بأن الزمن هو الكاشف العظيم . والغرب وثّاب متحمس يدفعه عنف الشباب على ان كلا الشرق والغرب باحثان وجوهر الثقافة والجمال الذي يبحثان عنه واحد

(١) شلي وكتيس شاعران انكليزيان من أكبر شعراء القرن التاسع عشر

(٢) شاعر انكليزي من القرن الرابع عشر



الغرب : يقيم الحدود بين الطبيعة والطبيعة البشرية  
والشرق : يؤمن بالوحدة الاسامية في كل الخليقة  
الغرب : كعالم يشرح الطبيعة  
والشرق : كفيلسوف يسلم بها  
الغرب : يرى بعيون الشباب الوثاب ، عيون المادة  
والشرق : يتأمل بعيون الروح التي لا يدركها الهرم  
ومع ذلك فالذي يشاهدانه واحد — وهو الوحدة الخالدة — وحدة الانسان والعالم  
الذي يعيش فيه

\*\*\*

كلما تقدمنا في السن قويت بصيرتنا الروحية فنستطيع أن ننظر الى الاشياء نظراً مشارفاً  
نفهم عليها . فيحملنا ذلك على تفضيل أيام حداثتنا الزاهية على أيام كهولتنا أو شيخوختنا  
التي نعاني اعباءها فنشير الى أيام الشباب متحمسين : — كان زمن الشباب كذا وكذا .  
والواقع أن الحال لم تسوء والايام الماضية لا تفضل الايام الحاضرة حكمة وسعادة وانما  
بعدنا عنها يمكننا من رؤية أثرها رؤية مجملة شاملة . وهذا ما لانستطيع أن نفعله في أيامنا  
هذه لأننا مازلنا فيها إن رسم الحائك لا يرى الا متى تمت حياكة الثوب

ويغلب أن تكون الشهرة نتيجة الفرصة السانحة وكثيراً ما تشبهها في مداها !  
قد يكتب أحد الشعراء نشيداً وطنياً في أثناء نشوب حرب طاحنة فتعصف بالجمهور  
كعاصف لأن الجمهور يرى في سطوره ونبراته صوراً للشعور الذي يحول في صدور أفرادهِ .  
فيحكم على ناظمه بالنبوغ والتفوق ويرفعه على الاكتاف وتصبح كلماته تتردد في كل نادٍ  
وتسمع أنغامه الحماسية في وقع الاقدام العسكرية !

ثم تضع الحرب أوزارها ويمتد رواق السلام فينجب شاعر جديد ينشد أفراس الطمانينة  
ومسرات السكينة فيهب نسيمها اللطيف على صدور اكتسحتها من قبل الحماسة في الحرب ،  
فنسئ الموسيقى العسكرية التي وضعها الاول ويتاح لمتط جديد ان يرتفع فوق أكتاف  
الجاهل الى ذرى الشهرة . ولكن ما أقل الذين يتاح لهم ان يكون نصيبهم الفهم والتقدير  
من أبناء جيلهم وأبناء الأجيال التالية . ومع ان الغرب يمدُّ أيدي الجشع ترى الشرق قابلاً  
قائماً منتظراً تحقيق غرضه — وغرضها معاً انما هو — الحق !

— ٣ —

قال الكاتب : ولما غادرت دار طاغور أدركت أنني في حديثي معه تكلمت مع مَنْ يعلم



# فوائد الرياضة

البدنية في الصحة

للدكتور شوكت موفق الشطي

تكوّن العضلات نصف الجسم تقريباً فاذا لم تحرك تحريكاً كافياً يضطرب غذاؤها وتكثر الانقراض السمية فيها فتؤذيها وتؤذي الجسم معها. تحرك الرياضة قسماً كبيراً من عضلات الجسم فتقبضها وتبسطها فتسرّع بذلك جولان الدم والنفثا وتيسر حرق الفضالات المتراكمة في البدن وتسهّل تسير الفضول الباقية فيه وتساعد على إفراغها لذلك تعد الرياضة البدنية متى كانت رشيدة وتابعة للقواعد الصحية عاملاً من أقوى العوامل فعلاً في تنشيط الجسم وتحسين نمائه وتنسيق جمال أعضائه اذ انها العلاج الناجع للهزيل النحيف والدواء الشافي للمفصاج السمين والوسيلة الصالحة للخلاص من كثير من ضروب التشوه وانواع الاوضاع المعيبة

ينشط بالرياضة القلب فيزداد عدد دقاته ويكثر دفعه للدم الشرياني ويغزر توارد الدم الوريدي اليه ويؤدي ذلك كله الى تنبيه جميع الاجهزة وخصوصاً المفرغة منها وأخصها اعضاء الجهاز الهضمي اذ تتأثر عضلات الحجاب الحاجز والبطن وتستفيد الكبد فيسهل افراغ الصفراء منها ومن مرارتها ويقوى عمل المعدة والامعاء فينتظم الهضم ويحول القبض ويعرق الجسم من جراء الرياضة ويكثر مقدار البول

هذا ولما كانت الاعصاب مشرفة على حركات العضلات فانها تقوى بالرياضة ويقوى معها الدماغ والنخاع وباقي أقسام الجهاز العصبي وما يرتبط به من غدد واعضاء وتقوى أيضاً العظام والمفاصل وينتج من ذلك كله تحسن اضطراب الضغط الدموي وطرده السموم المتراكمة وانقراغ النفاوات واصلاح الجسم اصلاحاً عاماً لذلك كانت الرياضة ضرورية للانسان في كل سن ولا سيما لمن كانت مهنتهم عقلية لا تستدعي حركة زائدة

يختلف فعل الرياضة باختلاف السن والجنس وطرز الحياة والارتكاسات الشخصية. تبدو الرياضة غريزة ملازمة للانسان منذ نعومة اظفاره فتحريك الطفل يديه ورجليه وهو مازال في الاقطة واللفائف وبذله جهد طاقته للإفلات منها ثم حبوه فلعبه وركضه ووثبه نوع



من الرياضة يناسب سنه ويلائم طبعه، تقتضيه حياته ويتطلبه نموه وترعرعه . وكذلك الحيوان فان لعب كبارهم وصغارهم رياضة لازمة لها وما على الانسان وهو الحيوان الناطق الا ان ينمي هذه الغريزة ويضع لها قواعد وأنظمة فلا يُفْرِط ولا يَفْرِط فيها ولذلك عظم شأنها وظهرت لها مكانة في جميع النفوس

ان الرياضة ضرورية للانسان لازمة له في دور الرضاع وفي مراهقته وفي شبابه وكهولته وشيخوخته فلا ينمو الولد الا بتوافر ثلاثة عوامل له وهي غذاء صحيح كاف وهواء نقي يستنشق وعيشة هادئة تتخللها دراسة وألعاب رياضية موافقة لسنه . ولا يسعد الشبان الا بشعور داخلي يساورهم فيجعل الحياة لهم طيبة والعيش فيها لذيذاً . وأهم أركان هذا الشعور الصحة والنشاط ولا يكتسبان الا بتحسين حالة الجسم والعقل بالاعتدال في الاغتذاء والرياضة فان في ذلك سر السعادة في الشباب . وكذلك الكهول فانهم اذا مارسوا الرياضة حفظوا قوة شبابهم وأضافوا اليها رجحان العقل وتخلصوا من امراض بطوء الاغتذاء العديدة المزمنة . واما الشيوخ فلا تتحسن حالتهم وتدفع عنهم ظواهر الشيخوخة المزمنة الا بالرياضة تناسب سنهم وغذاء صالح يحسنون هضمه وتمثيله

والرياضة ضرورية أيضاً للاحتفاظ بسلامة العقل فتأثيرها في تنمية الملكات العقلية صريح وجلي . ولذلك قيل العقل السليم في الجسم السليم . ويناسب هذا القول العربي الذائع قول جابر بن جندب : أن التفكير الصحيح يتطلب رياضة الاطراف والحواس والاعضاء التي تعد بحق وسائل تنمية الذكاء والعقل وتدعم أيضاً دعوة هيربرت سبنسر القائلة بحفظ صحة الجسم بالرياضة تأمينا لحسن السير في نماء العقل ونشاطه

وتعلم الرياضة الانسان اعتياد ظلف العيش والخشونة والقناعة والجرأة والشجاعة وتؤمن تناسق الاعضاء واستمرار القوة في كل شيء وتخلص من شر كثير من الأمراض وتحفظ الجمال

\*\*\*

يتضح مما سبق أن الرياضة تحسن حال الوظائف الغريزية وتنمي المواهب العقلية وتكسب الانسان صفات أدبية سامية وتحفظ جمال الجسم وتناسقه وتخلصه من التشوه باصلاحه وتقي الانسان الاصابة بكثير من العلل والآفات وتنجيه من شر كثير من الأمراض والادواء . وقد ثبت طبيياً أن الرياضة بالحركة عامل في الشفاء أشد نفعاً في كثير من الاحيان من العلاج والدواء فلا أغرو والحالة هذه أن تعد حاجة الانسان الى الرياضة كحاجته الى الغذاء وأن تحسب عملاً أساسياً من الأعمال الأسبوعية أن لم يكن من الأعمال اليومية



## كلمة تاريخية

عن الرياضة عند العرب بعد الاسلام

أشار القرآن الكريم الى الرياضة في سورة يوسف بقوله «أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإننا له لحافظون» وقوله «انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا». وفي هذين القولين ذكر للعب والرتع وهو التنعم باللعب والرياضة والسابقة عدواً أو بالرمي وكلها من وسائل التربية البدنية. وقد عرف أيضاً علماء العرب وفلاسفتهم وحكامهم وأطبائهم أثر الرياضة في الجسم والنفس والعقل فدونوا ذلك في أقوالهم وكتبهم فحث النبي صلى الله عليه وسلم على تعاطي الرياضة وأسباب الفروسية فسابق راجلاً وراكباً ورمى وصارع وأجاز المراهنة في بعض الرياضيات ترغيباً فيها وتنشيطاً للقائمين بها كما تبين ذلك الأحاديث الشريفة الكثيرة الواردة في هذا الصدد. ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقوال تعد من أحسن الوصايا في الرياضة وأروعها معنى وأكثرها بلاغة منها قوله: اثبزروا وارتدوا وانتعوا واحتفوا وإياكم والتنعم وعليكم بالمدية او قال تمعددوا<sup>(١)</sup> واخشوشنوا<sup>(٢)</sup> واخولقوا<sup>(٣)</sup> واقطعوا الركب<sup>(٤)</sup> وارتموا<sup>(٥)</sup> الاغراض. وقال لن تخور قواكم ما نزوتم<sup>(٦)</sup> ونزعتهم<sup>(٧)</sup> وهكذا ظهر بين العرب رجال أقوياء استطاعوا ان يباهوا الأمم بقوتهم كما يتضح من القصة التالية:

أراد ملك الروم ان يباهي العرب والاسلام فبعث الى معاوية رجلين أحدهما طويل والثاني قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى

(١) تمعددوا أي الزموا المدية وهي عادة معد بن عدنان في أخلاقه وزيه وفروسيته

(٢) اخشوشنوا أي تعاطوا ما يوجب الخشونة ويصلب الجسم ويصبره على الحر والبرد والتعب والمشاق فان الرجل قد يحتاج الى نفسه فيجد عنده خشونة وشدة وقوة وصبراً ما لا يجدها صاحب التنعم والترفة بل يكون العطب اليه أسرع

(٣) اخولقوا أي تهبأوا كما يراد منكم وكونوا خلقاً جديريين بفعله لاكن ضيع أركان وأسباب فروسيته وقوته فلم يجدها عند الحاجة

(٤) الركب: جمع ركاب فأمرهم بذلك لئلا يعتادوا الركوب دائماً بالركاب

(٥) ارتموا الاغراض: أمرهم أن يكون قصدهم في الرمي الاصابة لا البعد

(٦) النزو هو القفز على ظهور الخيل دون الاستعانة بالركاب

(٧) النزع هو الرمي بالقوس



بها اليه فلبسها الطويل فبلغت ثدييه فلاموا قيساً على نزع السراويل فقال  
أردت لكي ما يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود شهود  
وكيلا يقولوا خان قيس وهذه سراويل عادٍ احرزتها ثمود  
واني من القوم اليمانيين وما الناس الا سيد ومسود  
ثم دعا معاوية للرجل الشديد للقوة بمحمد بن الحنفية فخيرهُ بين أن يقعد فيقومهُ او  
يقوم فيقعدهُ فغلبهُ في الحالتين وانصرفا مغلوبين

\*\*\*

وقد جاء عن رياضة الصبيان في كتاب احياء علوم الدين للعلامة الامام الغزالي قوله : —  
وينبغي ان يؤذن للولد ان يلعب لعباً جميلاً يستريح اليه من تعب المكتب فان منع الصبي  
وارهاقه الى التعلم دائماً يميت قلبه ويبطل ذكاه وينغص عليه العيش . ويقول العبدري الذي  
عاش في القرن الثامن للهجرة في كتابه مدخل الشرع الشريف ينبغي ان يلعب الأطفال بعد  
النصرافهم من المكتب لعباً جميلاً حتى تذهب عنهم آثار التعب والملل وحتى يستأنقوا دروسهم  
بشوق واهتمام . ومما قاله ابن سينا في هذا الصدد : الرياضة حركة ارادية تضطر الى التنفس العظيم المتواتر  
والموافق لاستعمالها على جهة اعتدالها في وقتها به غناء عن كل علاج تقتضيه الأمراض المادية  
والأمراض المزاجية التي تتبعها وتحدث عنها . وبيان ذلك هو انا كما علمت مضطرون الى الغذاء  
وحفظ صحتنا هو بالغذاء الملائم لنا المعتدل في كميته وكيفيته وليس شيء من الأغذية بالقوة  
يستحيل بكميته الى الغذاء بالفعل . بل يفضل عنه في كل هضم فضل والطبيعة تجتهد في استقراغه  
ولكن لا يكون استقراغ الطبيعة وحدها استقراغاً مستوفى بل يبقى لا محالة من فضلات كل  
هضم لطخة وأثر فاذا تواتر ذلك وتكرر اجتمع منها شيء له قدر وحصل من اجتماعه مواد  
فضلية ضارة بالبدن من وجوه احدها انها ان عفنت أحدثت امراض العفونة ، وان اشتدت  
كيفياتها أحدثت سوء المزاج ، وان كثرت كمياتها أوردت أمراض الامتلاء ، وان انصبت الى  
عضو أوردت الأورام ، وبخاراتها تقصد مزاج جوهر الروح فيضطر لا محالة الى استقراغها ،  
واستقراغها في أكثر الأمر انما يتم ويوجد اذا كان بأدوية سمية . ولا شك انها تنهك الغريزة  
ولو لم تكن سمية أيضاً لا يخلو استعمالها من حمل على الطبيعة . ثم يقول ما خلاصته : والرياضة  
أمنع سبب لمكاخة الامتلاء بالنعاش الحرارة الغريزية وتعويدها البدن الخفة وذلك لأنها  
تثير حرارة لطيفة فتحلل ما اجتمع من فضل كل يوم وتكون الحركة معينة في ازلاقتها  
وتوجيهها الى مخارجها فلا يجتمع على مرور الأيام فضل يعتد به



وبحث علي بن العباس المجوسي عن الرياضة بحثاً مطولاً قسمها فيه الى فاعلة ومنفعة كما هي معروفة اليوم وذكر تأثير كل نوع منها  
وقال رئيس أطباء مرستان نور الدين الشهيد ما ننقله بتصرف : بقاء البدن بدون غذاء محال ، ولا غذاء يصير بجملة جزء عضو . بل لا بد ان يبقى عند كل هضم أثر ولطخة اذا تركت وكثرت على طول الزمن اجتمع شيء له قدر يضر بكيفيته وبكميته والرياضة تمنع تولدها لذلك فان للرياضة حظاً عظيماً في حفظ الصحة وهي تعود البدن خفة ونشاطاً وتجعله قابلاً للغذاء وتصلب المفاصل والأوتار والرباطات فتقوى على الأفعال وتأمين من الانفعال وتؤمن من جميع الأمراض المادية

ولم يقصر أدباؤهم في الدعاوة الى الرياضة بأسلوب رائع بديع وأدب رفيع . ومن أطف أقوال أدباؤهم في الرياضة عامة والتروض بالصيد خاصة كلمات المولى الفاضل شهاب الدين محمود ابن سليمان الحلبي الكاتب حيث يقول : —

والرياضة تبعث النفس على مجانبة الدعة والسكون ، وتصونها عن مشابهة الحمام في الركون الى الوكون ، وتحضها على أخذ حظها من كل فن حسن ، وتحثها على إضافة الأدوات السكاملة الى فصاحة اللسان ، وتأخذ بها طوراً في الجد وطوراً في اللعب وتصرفها في ملاذ السمو في المشاق التي يستروح اليها التعب فتارة تحمل الأكار والعطاء في طلب الصيد على مواصلة السرى ، ومقاطعة الكرى ، ومهاجرة الأوطار ، ومهاجمة الأخطار ، ومكابدة الهواجر ، ومبادرة الأوابد التي لا تدرك حتى تبلغ القلوب الحناجر . وذلك من محاسن أوصافهم التي يذم المعرض عنها ، واذا كان المقصود من مثلهم جدّ الحرب فهذه صورة لعب مخرج اليها منها . وتارة تدعوهم الى البروز الى الملوك ، فيعتسفون اليها الدجى اذا سَجى ، ويقتحمون في بلوغها حرق النهار ، اذا انهار ، ويتنعمون بوعناء السفر في بلوغ الظفر ، ويستصغرون ركوب الخطر في إدراك الوطر ، ويؤثرون السهر على النوم ، واليلة على اليوم ، والبندق على السهام والوحدة على الالتئام

\*\*\*

يلاحظ القارئ مما مرّ ان أقوال المتقدمين في صدد الرياضة تتفق وأقوال المتأخرين وان آراء علماء الغرب وأدباؤهم في فوائد الرياضة وطرق تأثيرها تماكي آراء حكماء العرب وعلمائهم فالى هؤلاء يرجع شرف البحث والتحقيق والتحصيل والتدقيق . وقد قصدنا بذكر قطر من بحر وغيض من فيض عما قالوه وبينوه ابتغاء رد الفضل الى ذويه والسلام



# معركة الاصلاح

الاجتماعي

قادتها ، خططها ، أسلحتها ، جنودها ، ميادينها (١)

لمحمد العشماوي بك

سيداتي ، سادتي . بناتي ، أبنائي :

إنه لمن حسن حظي أن تتاح لي الفرصة لأتكلم كي أحقق غرضين :  
الأول — ان أنفّس عن نفسي . فان مشكلة الاصلاح الاجتماعي ، وقصور العناية به  
وضعت الثورة من أجله لما يرد النفس عن هدوئها ويجعلني محدثاً ثورياً بدل أن أكون  
محاضراً . والغرض الثاني — أن أؤدي ديناً عليّ لمدرسة الخدمة الاجتماعية ، فقد كنت أول  
التكاملين في حفل افتتاحها ، بيد أني تكلمت وكيلاً لوزارة المعارف مكلفاً من قبل وزيرها  
بصفة رسمية ، ثم توثقت بيني وبين المدرسة صلات المودة والتعاون بعد خروجي من الوزارة ،  
على غير العادة المألوفة التي تقضي بتراخي العلاقات بعد ترك المنصب ، فأبى وفاء هذه المدرسة  
إلا أن يقلب الأوضاع فتتوشج بيني وبينها الصلات حيث تنتفي المصلحة لحيث تدعو ،  
فلقاء هذا الخلق الكريم أؤدي واجب التحية لهذه المدرسة في مستهل عامها الخامس ، راجياً  
لها مطرد التوفيق

وقبل أن أحدثكم في شأن معركة الاصلاح الاجتماعي أريد أن أدفع وهمين : الاول  
ما أفاضه عليّ وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية الاستاذ حسونة بك من ثناء ، فانه مؤدّبني  
الى حرج حينما يقاس إليه ما أنا متحدث به وستجدون هوّة بين قولي وثنائه إذ تسمعون  
حديثي فلا يروعنكم بشيء مما أفاضه عليّ ، فليتردوا ثنائه الى نبالة شخصه وكرم  
صداقته ، ورأي الصديق مفروض فيه المبالغة . وإنه لمن مصلحتي أن أتجرد مما نحلني إياه من  
الفضل شاكرّاً له سخاءه ، وأن أطالعكم بحقيقتي في ثنايا قولي . فأما الوهم الآخر الذي  
أريد دفعه فهو أنني ألقني محاضرة . والحق أنني لم ألق محاضرة ، في حياتي قط إلا في القانون  
أعني مادتي وميداني علمي . ولست في مضمار الاصلاح إلا هاوياً من الهواة . ولا يجوز

(١) الكلمة التي افتتح بها عزته العام الخامس لمدرسة الخدمة الاجتماعية يوم ٤ أكتوبر ١٩٤١



أن يسمى الهاوي محاضراً . ولعل من الواجب أن تحتج مدرسة الخدمة على أن أحشر في زمرة أساتذتها المحاضرين المتخصصين ، على حين أنني إنما أطلبكم في حديثي بفورة من فورات النفس أتحت لها الفرصة أن تندلع

\*\*\*

وربما كان مما أغراني بقبول التحدث اليكم في معركة الإصلاح الاجتماعي أنني أقوم على رأس جماعة تعني بالإصلاح وتعمل له ، فينبها وبينكم أمتن الروابط وآكد العلاقات القائمة على تداول الرأي وتبادل المعونة . ومن حقني إذن أن آتي اليكم حاملاً علم الجماعة التي أراسها ، فانها بما أنشأته من مؤسسات الطفولة وبما ترعاه من الشؤون الاجتماعية تسايروكم الى غاياتكم النبيلة في الإصلاح ، وتنهض بقسط من مهماتكم في الخدمة العامة . فأنا في مقامي هذا أودي لكم واجب الشكر وواجب المعونة معاً . وبذلك أكون دائماً ومديناً في وقت واحد ، فتقع المقاصّة وأخرج بريء الذمة لا لي ولا علي

وايكم أن تسألوني وقد اخترت كلمة « معركة الإصلاح الاجتماعي » عنواناً لحديثي : لماذا آثرت هذا الوصف ؟ والحق أنني متأثر بعاملين : الاول أننا في عهد حرب تعادينا أنباؤها المنكرة في الصباح وتغير علينا نوابها الجائحة في المساء . فقد مني بها العالم أجمع لا فرق بين محارب ومحاميد . ولا منجاة منها في بر أو بحر أو سماء . وقد سخرت لها كل ما في الدول من قوى وزجت فيها كل وسائل الدفاع والهجوم ، وجندت لها العلوم والعقول والجسوم . فلا غرو إن تأثرنا في جو الحرب بلغة الحرب . ولا بدع إذا استعملنا ألفاظ القتال الدائرة في أفواهنا لنصل بأحاديثنا الى القلوب . والعامل الثاني أن معركة الإصلاح معركة حققة فليست هي وحي خيال أو وهم شاعر ، وإذا قام الخلاف على معركة الحرب ، أمهي بين الخير والخير ، أمهي بين الشر والشر ، أمهي بين الخير والشر . فانه لا خلاف على ان معركة الإصلاح قائمة بين الخير والشر لا غير . ومن ثم فهي مقطوع بمشروعيتها يجب أن نؤازرها وأن نعمل في ميادينها حتى نكفل لها الفوز والنصر

ولو تقصينا الموازنة بين معركة الحرب ومعركة الإصلاح الاجتماعي لوضحت لنا أوجوه الشبه بينهما . فكلماتها لها خططها وأهدافها ، ولها قادتها وجندها ، ولها ميادينها ومناطقها . فان معركة الإصلاح الاجتماعي تعتمد على أسلحة متنوعة كالشأن في معركة الحرب ، وهي أسلحة تتفاوت بتفاوت المستوى الاجتماعي لكل أمة ، ولكنها تلتقي في وجوب اجتماع قوى الأمة كما تجتمع في الحرب قوى الدولة . وهي كذلك معركة يجب أن يكون لها طلائع من الكلام



والدعاية كما في الحرب . فواجب أن يمهّد المصلح لها . وأن يعمل على تقبل الشعب لجديد الإصلاح . وهي معركة تبتدىء بالقول وتنتهي بالسلح ، وما أشبهها بالاسلام إذ بدأ بالدعوة وانتهى بأعمال السيف ، وقد أجاد شوقي بك تصوير ذلك في قوله :

قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا      لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم  
جهل وتضليل أحلام وسفسطة      فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم  
لما أتى لك له عفواً كل ذي حسب      تكفل السيف بالجهال والعمم  
والشر إن تلقه بالخير ضقت به      ذرعاً وإن تلقه بالشر ينحسم

\*\*\*

على أن معركة الإصلاح الاجتماعي تختلف عن معركة الحرب بأنها كما أسلفت معركة مشروعة وبأنها لا هدنة فيها ولا صلح . فإن أمّل العالم وضع الحرب أوزارها على أي وجه فانه يجب أن تقطع الأمل من انتهاء معركة الإصلاح ما دام الشر قائماً ، وسيقوم حتى تقوم الساعة ومن عناصر الخلاف بين المعركتين ان معركة الإصلاح للتعمير لا كمعركة الحرب للتدمير ، نصيب المهزوم فيها الخراب ، وحظ المنتصر فيها الخمبران لا محالة . فايراد بمعركة الإصلاح إلا تعمير البلاد أخلاقاً وعقولاً وحياة ، وإلا استقامة الامر للحاكين والمحكومين على السواء ولما كانت معركة الإصلاح للتعمير فقد كانت اسلحتها للتعمير ايضاً لا كالأسلحة الحربية المدمرة ، وإذن فتلك خير المعارك التي يشتغل بها الناس إذا أرادوا كسب المعركة الكبرى . ولت شعري كيف تستقبل معركة الحرب أمة نهك الفقر قواها وتعطلت من الاخلاق نفوسها . فحتم أن تكون معركة الإصلاح سابقة لمعركة الحرب حتى تكفل أسباب الانتصار

وعلينا اذن ان نخرج على العرف فنسمي معركة الإصلاح المعركة الكبرى ونعتبر ما عداها صغرى المعارك . وإني ليحضرني في تأييد ذلك حديث للرسول صلوات الله عليه في عودته من إحدى مغازيه إذ قال : « رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » . يريد مجاهدة النفس ومغالبة الأهواء . فالإصلاح الاجتماعي هو الجهاد الأكبر بلا مرأ

ولقد وضع لكم أن لمعركة الإصلاح أوضاع المعركة الحربية . ومن هذه الأوضاع إعداد القادة . ففي معركة الحرب يعدون بالدراسة والمرانة معاً . وقد يبرز بعض القادة كبعض المصلحين تحفزهم همّة وثابة ، ونفس قوية ، دون إعداد سابق أو تمرين . بيد أن المعارك الحربية الحديثة لم يعد يصلح لها هذا الضرب من القواد . فلا بد للقيادة من دراسة لفنون



الحرب . واتساع علم بطبائع الأرض وطبقات الجو واعماق البحر، الى تفهم لنفسيات الشعوب ومعرفة بمواردها ومصادرها . وكذلك الأمر في معركة الإصلاح ، شدة ما تحتاج الى قادة متخصصين . فلم يعد يكفي في ذلك أن تعرض لمصلح فكرة فيستخدم بلاغته للتأثير في محيطه فان ذلك منهته حتماً الى الاخفاق . وكيف تتمثلون قائداً لا يفقه شيئاً من شؤون البلاد ولا من نفسيات أهلها ولا من وضعها الاقتصادي ولا من العوامل التي تؤثر في الدعوة رفضاً أو قبولاً . ولهذا وجب أن يسبق القيادة في ميادين الإصلاح احاطة بمشكلات المجتمع وبواعث الانحلال فيه ووسائل النهوض به .

ومن الطبيعي وأنا في صدد تكوين القيادة أن تعرض لي على الفور مهمة وزارة الشؤون الاجتماعية، فقد اقيت اليها مقاليد القيادة . ثم جندت البلاد كلها تحت لوائها . ومن العيب أن نكل الى هذه الوزارة مواجهة المشكلات على وجه التفصيل . فذلك عنت لا تستقل به هيئة . فالوزارة كما أتصورها في مركز القيادة حولها هالة من رجالات الفكر وذوي الرأي يدرسون وسائل الإصلاح في الأمم الناهضة . ويراعون الفوارق بين البيئات المتباينة . فان نوعاً من الإصلاح في بيئة قد لا ينتج في بيئة أخرى . وحين تنهياً للوزارة هذه الكفايات يتسنى لها أن ترسم الخطط وتضع البرامج مستنفدة ما يتطلبه العمل من وقت متسع وجهد متصل ومال موفور . فعلى هذا الأساس تصورت وزارة الشؤون الاجتماعية وعلى هذا الأساس تمثلت عملها، وعلى غير هذا الأساس لا يمكن أن يكون للوزارة أثر محمود . ولا يفوتني في هذه المناسبة أن أندد بالآراء المرتجلة في الإصلاح تلك التي لا برنامج لها ولا خطة يقوم عليها أمرها . فهي قد تلفت الانظار وتستهوئ الافئدة . ثم لا يلبث أثرها أن يتزائل ، شأن كل عمل لم يعين هدفه ولم تراعى ملابساته ولم تستكمل دراسته ، فمن رأي الذي أجهر به أنه يجب أن تتوافر أولاً كل الوسائل التي تمكن وزارة الشؤون الاجتماعية من رسم خطتها . لا يضمن عليها في سبيل ذلك بمال ولا بحقول تجارب ولا بأية وسيلة تعين على الدرس واستقرار الرأي والاطمئنان الى بلوغ الغاية وإصابة الهدف .

وللتمكين من ذلك كله يجب أن يكون للوزارة سلطان يستوعب سائر الوزارات والمصالح، لا تتقف في طريقه عقبات تنازع الاختصاص، فانه لا فائدة من تنفيذ البرنامج الاصلاحي المستقر غير المرتجل إلا بتوحيد القيادة وتقويتها وإعطائها حق الفرض والتنفيذ، وإلا بانطواء جهود الحكومة والشعب تحت راية واحدة، يبذل كل من خفقت عليهم ما حباه الله من رأي أو مال

فأما خطط المعركة فقد ألمعت اليكم أن الإصلاح لا خطة له في معمر . وإنما هي مرتجلات



من الآراء والأفكار تواجه بها كل مشكلة حين يشتد تعقدها. وما أخرجنا الى تجنب الارتجال في حل ما بين أيدينا من مشكلات تداعي الأسر، والتشريع الناقص، واضطراب القوات، وبلبلة التعليم. فان تفكيرنا في ذلك وأمثاله مرتجل لا ينهض على أسس من الدراسة المنظمة والنفوذ الى الجوهر

\*\*\*

لقد آن لنا أن نعدل عن هذه الحال وأن نستعرض حياتنا في شتى مرافقها. فنرسم لجوانبها المختلفة خطة منسقة تشتمل على علاج أدواءها. وكفى اناسنا طوال هذا الزمن على غير هدى. وهذا هو ريفنا أماننا مقياساً لما تورطنا فيه من اهمال وفوضى. ولاذكر لكم حديث رجل من كبراء الأجانب قال لي يوماً « رأيت الريف اول ما رأيت وشهدت حاله فلم أشك في أن عاصمة هذه القرى قرية على مثالها تمتاز ببعض السعة في الرقعة. ثم دخلت القاهرة فلم ألبث أن تصورتها رأساً كبيراً ركب في جسم ضئيل. ولا يستقيم المخلوق كهذا عيش ولا حياة » وان هذا الحديث لحق كل الحق، وحسبكم مصداقاً لذلك أن القاهرة وحدها تضم نصف معاهد التعليم في أنحاء الوادي كله. فنحن لا ننظر الى مصر كلها باعتبارها رقعة واحدة. وإنما نعي بكبريات المدن ونركز فيها أسباب العمران. وبذلك كانت الهوة عميقة بين الحواضر والقرى. فاختل توازن الحياة الاجتماعية لأبناء البلاد. فزأماً علينا أن نراعي المساواة في غير طرف، وأن نقرب الهوة بين الطبقات حتى لا تسير الأمة بشق مشلول، وتلك هي مهمة الإصلاح الاجتماعي وذلك واجب القيادة العامة. فعليها أن تراجع الحياة الاجتماعية للشعب مبتدئة بالطفل الى الشيخ، مستوعبة لمناحي الثقافة والاقتصاد والاجتماع

\*\*\*

ولننتقل الآن الى الجنود، ومن هم؟ هم أبناء البلد جميعاً، فيجب أن يجند كل قادر على العمل في أي ميدان، ويجب ألا يترك ذلك لمحض الرغبة بل يكون التجنيد إجبارياً، كل بما يتسع له ذرعه وينفسح له إمكانه. وقد أرشدنا الى ذلك رسول الله صلوات الله عليه حين قال: كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته. وقد بلغ في حديثه الشريف الى الخادم فسماه راعياً وعده مسؤولاً عن رعاه. فعليها إذن ان نعتبر الإصلاح فرض عين لا فرض كفاية. ذو المال يقدم مما ملكت يمينه، وأخو العلم يبدل من علمه، وصاحب التجربة يفيد ما أضاعت عليه التجارب، وذو الجاه يزكّي عن جاهه فان للجاه زكاة كاملاً يجب أن تؤدي. وعلى الجملة لا بد أن يكون كل فرد خادماً اجتماعياً في المحيط الذي يعيش فيه وفي الميدان الذي يصلح له وبذلك يتعاون



الأفراد في شتى البيئات فتكون الأسر والمصالح والمعاهد مثابات للإصلاح ، وتصبح الأمة كالبنيان يشد بعضه بعضاً

واننا ان بلغنا من ذلك مأربنا واجهنا معركة الإصلاح ضامين الفوز والنجاح . ولكن ما هي عدّة الجنود ؟ الايمان اولاً والعلم ثانياً ، يجب ان يؤمن الجند بالفكرة . وبواجب العمل بها . فاذا قوي الايمان لم يبق في سبيل الإصلاح عائق . ولقد سمعت مرة قائلاً يلتمس العذر للراغبين في الإصلاح بأنه لا مال لهم يكفل النهوض بالفرض المرجو ، فحضرتني حينئذٍ دعوة الاسلام ، وهل كان سلاحها الا الايمان والاعتقاد وما تبعه من احتمال للأذى ومواصلة للسعي ؟ ويمناً لو وضعوا العقيدة في كفة وأسلحة الدنيا في كفة لرجحت الأولى وان طال بها المدى ولن ننسى أسلحة أخرى لها خطرهما في سير المعركة ، فهناك الصحافة بقوتها وجبروتها ، فلو عملت على التبشير بفكرة الإصلاح الاجتماعي في أساليبها الصحفية المؤثرة ومنطقها المعتمد على استخدام الحوادث الجارية ، لبعثت من المراقدين أولئك الذين استكانوا ورضوا بالنقص الاجتماعي الراهن . وهناك توأم الصحافة أعني الاذاعة ، وعلى عاتقها يجب أن يقوم قسط كبير من الدعوة والتوجيه والارشاد . واذا شئنا ان نضمن لأنفسنا الفوز في تلك المعركة فلا نصير لنا كالدين فهو أكبر سلاح للإصلاح ، والدين المعاملة ، والتربية الدينية الصحيحة أو في دواعي النهوض الاجتماعي والعمل له . فعلينا ان نعتمد على مبادئها الصافية تبعث في نفوسنا أعظم الايمان بالإصلاح والتجرد لخدمته في أشق الميادين جهاداً وأدعاهما الى التغذية بكرائم الأموال وعظائم الجهود

\*\*\*

وهيئات أن يفوتنا الالتفات الى المرأة ، ومن الخير ان نكشف أنفسنا بأنها في أغليتها العامة عامل من عوامل الضعف الذي نعانيه ، فما ننكره من تداعي الأسر والأمة من ورائها انما يرجع الى أن المرأة لم تهياً لتأدية رسالتها في الحياة على وجهها الصحيح . ورحم الله شاعرنا شوقياً إذ يقول :

وإذا النساء نشأن في أمسية رضع الرجال جهالةً وخمولا

فاذا لم نعن بتهيئة المرأة واذا لم نراع الرشد في التهيئة المنشودة فلا سبيل الى اصلاح . ومن الرشد ان نصرّفها عن ان تراحم الرجل في ميدان هي فيه أقل جدوى ، وإنما تدفعها اليه فكرة المساواة على اطلاقها ، متغاية عن واجب توزيع العمل . فلقد كدنا نواجه ازمة هي ترك المرأة ميدان المرأة — ذلك هو تربية الجيل — واستباقها ميدان الرجل الذي أسميه «ميدان



أكل الخبز « ولو مضت المرأة في هذا الانحراف لفقدنا هذا الجندي في ميدانه الذي أعدته له طبيعة الحياة

\*\*\*

أما الشباب فهو خيرة الجند الذين يجندون في معركة الاصلاح . ولقد طالما تناقل بعض الناس قالة اليأس من الشباب وإسقاطه من الحساب إذا أريد الاصلاح الحق . واجتزى في رد ذلك بالاشارة إلى ما كان من شأن عرب الجاهلية في مفتتح الدعوة الاسلامية فلقد كان تدير صاحب الدعوة أنه قلب الشر في أنفسهم خيراً ، والبغي عدلاً ، والغضب والعدوان فتحاً ونوراً لكامة الله . وإذا أسقطت شباب اليوم فمن يقوم على بناء المستقبل . ومن ينشئ أبناء الغد ألا إني أسقط الأجيال القادمة جميعاً إذا أسقطت من الحساب شباب الحاضر وانما السبيل ان تتولى القيادة توجيه الشباب توجيهاً صالحاً ، واستغلال وقت فراغه استغلالاً يعود على الوطن بأطيب الثمرات

\*\*\*

والآن نسأل أنفسنا ما هي ميادين الاصلاح التي تجري فيها المعركة المشودة ؟ أمامنا ميدان الطفولة . وأنه ليقترضنا جهوداً متواصلة فالطفولة مهمة في بيئة الغني وبيئة الفقير على حد سواء . فالفقير عاجز عن النهوض بتبعات التنشئة والتربية . والغني سادر في لهوه تارك طفله لخادمه ينشئه على غراره . فعلينا ان نلج هذا الميدان في بيوت الأغنياء والفقراء حتى نخلق جيلاً جديداً يسلم من النقص الاجتماعي الذي يشكوه المصلحون

\*\*\*

وراءنا ميدان الريف ، آمال مصر في الحياة . فنحن نسمع به ولا نرى شأنه أو نرى ثم نتعاضد عن حقائقه المرة . وأين نصيبه من وسائل الاصلاح ؟ ولعلكم تذكرون ما قام من العراقيل حين نُودي بمشروع المراكز الاجتماعية وما قيل في صدد ذلك من أن عمل وزارة المعارف ووزارة الصحة فيه العوض من عمل هذه المراكز . وبذلك خلطوا بين مهمة الثقافة العامة والصحة العامة وهذه المهمة الخاصة بحياة الفلاح التي يراد من أجلها انشاء المركز الاجتماعي في القرية

والحق أن مرافق الحكومة صحية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية هي بمثابة الهواء في الأجواء . وليس يكفي أن يتناوح الهواء في الخلاء ليتنفس فيه أولئك الذين أغلقت عليهم أبوابهم وسدت دونهم منافذهم فليست تجد النسمة اليهم مخلصاً وليسوا واجدين إليها سبيلاً . وما المراكز الاجتماعية التي هي موضع التساؤل بين المصالح والوزارات عن فائدتها إلا بمثابة



الباب ينفذ منه الهواء أو النافذة يمرق منها الضوء الى حياة الفلاح المظلمة . وإذا تنضح مهمة المراكز الاجتماعية على هذا الوجه لا يبقى مجال لتساعل عن فائدتها فانما هي ارشاد وتوجيه وتسييد وتبصير للجاهل وتذكير للغافل ليستنشق الهواء ويستمتع بالنور . وليس يبعث تيار هذه الهداية الا القيادة العامة أعني وزارة الشؤون الاجتماعية . وعلى الرغم من وضوح هذا الغرض واستقامته في الذهن مضيئاً نتقاتل ونتجادل في فائدة هذه المراكز ، وشغلنا عن الغرض الاسمي ، غرض الإصلاح والتعمير بتقوية هذه المراكز ودعمها

وهكذا يفقد ريف الفلاح إشرافاً مباشراً محسوساً له صفة خاصة تيسر له وسائل الإصلاح . ولقد عشت في الريف أشهراً هذا العام . فوضح لي أن الفلاح لا يشعر بأن هناك حكومة تعمل من أجله شيئاً . ومما أفكركم به على تصويره للحقيقة أن فلاحاً شيخاً سئل : هل تعرف الحكومة ؟ فأجاب في سذاجته الظاهرة : والله لقد عشت عمري كله لم أر لها في بلدي وجهاً !!

\*\*\*

وهل يلقى بنا أن نعقل في ميادين المعركة ميدان الأسرة ، وهي الخلية الحية في جسم الأمة ؟ أين هو المركز الاجتماعي الذي يتغلغل في مختلف الطبقات لإصلاح حال الأسر صحياً واجتماعياً وخلقياً لا نزاع الخرافات ، وبواعث الشقاق ، مما أدى الى التخاذل والانهار ، ألا إن ميدان الأسرة يحتاج الى جنود صادقة الجهود ، وهو بعنايتنا العاجلة جدير

\*\*\*

بقي عليّ أن أشير الى انقسامنا طائفتين في الروح : طائفة المتفائلين وطائفة المتشائمين . وائذنوا لي أن أصارحكم بأن كلتا الطائفتين نكبة هذا البلد . فالمتفائلون دعاؤهم أن يصلح الله الحال ، وعقيدتهم ان التطور الطبيعي كفيل بإزالة الفاسد وإصلاح الشأن ، وأولئك شر على الأمة فان لله سنناً كونية ليس منها ان يغير الله ما يقوم لم يغيروا ما بأنفسهم ، وأنت إن لم تزرع فلا حصاد . أما المتشائمون فهم يعضغون في أنواهم ان المشكلة عويصة وان البلد مختل الحال . وأنه لا أمل في إصلاح وأنه لا يمكن تغيير الواقع بين يوم ويوم . وفي هذا تسويغ لكسل الذهن وقعود الهمة ، واعتذار عن التقصير في حق الوطن والنكوص عن بذل الجهود من أجله

فلنتجنب هؤلاء وهؤلاء ، ولنكن عمليين ندعو الى الإصلاح وتنقسم الجهود في ميادينه ونؤمن بأننا جميعاً في سفينة ، فمن خرق منا مكانه هلك وهلكنا ، فإن منعناه نجح ونجونا والسلام عليكم ورحمة الله



# مخاطر الحياة

في غواصة في أثناء الحرب

عندما تغادر غواصة قاعدتها ، وقد لا تعود اليها إلا بعد أسابيع ، يتعين عليها ان تبقى مختفية في أثناء النهار تحت سطح الماء ولا تصعد الى السطح إلا ليلاً لشحن بطرياتها الكهربائية وتجديد هوائها . وعندما تكون الغواصة على سطح الماء يجب على بحارتها ان يبالغوا في البقطة لئلا يفاجأوا بسفينة حربية تطلق عليهم مدافعها او تقذفهم بقنابل الاعماق بعد غوصهم . ونور النهار لا يرى في داخل الغواصة إلا عن طريق منظارها . وهناك دائماً راحة كريمة مردّها الى الهواء المشبع بأنفاس البحارة ، والطبخ وأبخرة البطاريات وما أشبه . والغواصة دائماً التعرض لقنبلة الاعماق او للاصطدام بلغم او الوقوع في شبك خاص يستعمل لصيد الغواصات في أحوال معينة

واذا هبطت الغواصة الى القعر ولصقت به ، فنجاتها محتملة اذا كان العمق معتدلاً . ولكن اذا لصقت بالقعر في مياه تابعة للاعداء فنجاتها نادرة . نعم ان الرجال قد يخرجون من الغواصات متوسلين بأحدى وسائل النجاة الحديثة ، يحدوهم الأمل بأن يلتقطهم أحد ولو كان من الاعداء . ولكنهم في كثير من الاحيان يموتون برداً قبل ان تقع عين عليهم والتعاون بين رجال غواصة ما ، قاعدة لا يستغنى عنها . وليس أدلّ على وجوبها من ان غوص الغواصة يقتضي وجود رجالها في خمسة عشر موقفاً من مواقعها وتحريك نحو مائة صمام . فاذا لم يكن كل رجل في مكانه واذا لم ينهض كل منهم نهوضاً دقيقاً بما ينتظر منه فقد لا تغوص الغواصة كما يجب ان تغوص وعندئذ تتعرض هي وجميع رجالها للخطر وتدقق الأميرالية في كل بلد في اختيار الرجال للخدمة في الغواصات لأن الماشاق الجسمية التي يعرضون لها والجهد العقلي الذي تقتضيه الحياة في الغواصة ، أعظم مما يعانیه رجال السفن الحربية الأخرى بوجه عام

ولا يخفى ان هواء الغواصة يأخذ في الفساد بعد غوصها ، بما ينفضه فيه رجال الغواصة من ثاني اكسيد الكربون في أثناء تنفسهم . واذا عجزت الغواصة لسبب ما ، عن ان تصعد الى سطح البحر لتجديد الهواء ، فان هواءها لا يجدد بطريقة أخرى . وقد أثبت البحث العلمي



الحديث انه اذا بلغ مقدار ثاني اكسيد الكربون في الهواء ٣ في المائة لم ينشأ عنه ضرر ما، وهذا المقدار يزيد على المقدار السوي في الهواء الطلق أكثر من مائة ضعف . فإذا زاد مقدار ثاني اكسيد الكربون عن ٣ في المائة عسر التنفس ولا سيما في من يُطلب منه جهدٌ عضلي ويشعر الرجل نفسه ان صدره ضيق وأنه لا بدَّ من بذل لشايط خاص للتنفس . فإذا بلغ المقدار ٤ في المائة بدا الاعياء على الرجال ولا سيما اذا صاحب زيادة ثاني اكسيد الكربون ضرورة الجهد العضلي . فإذا بلغ المقدار ٥ في المائة أصبح الشعور بالاعياء حادًا والجهد العضلي قريباً من المستحيل ، فإذا زاد المقدار الى ٥٥ في المائة حصل تشنج وقد يعقبه الموت بعد تعرض طويل . وزيادة مقدار ثاني اكسيد الكربون في الهواء يفضي الى ابطاء الاعمال العقلية فيسفر ذلك عن ارتكاب اخطاء في التصرف والحكم . فقد يحكم ضابط غواصة في حالة من هذا القبيل ان مسافة سفينة يراها بالمنظار لا تزيد على مائتي متر بينما تكون أقرب من ذلك أو أبعد . وقد يحاول بحار ان يدير مفتاحاً ما عدداً معيناً من الدورات فيخطئ العد

\*\*\*

وفي اثناء تولد ثاني اكسيد الكربون ونفثه في هواء الغواصة بالتنفس ينتزع المتنفسون مقدراً من اكسجين الهواء . أي أنه متى ارتفع مقدار ثاني اكسيد الكربون الى ٣ في المائة يكون مقدار الاكسجين قد نقص الى نحو ١٨ في المائة . والظاهر ان التأثير البادي في صحة الرجال العقلية والجسدية ، مردّه الى كثرة ثاني اكسيد الكربون لا الى قلة الاكسجين ، لأنه اذا لم يزد مقدار ثاني اكسيد الكربون ونقص مقدار الاكسجين الى ١٤ في المائة لا الى ١٨ في المائة وحسب ، لم تظهر الاثار المتقدمة الذكر على المتنفسين . ومما يؤيد هذا القول ان المصعدين في الجبال استطاعوا ان يلبثوا وقتاً غير يسير على قمة جبل پيك ( Pikes Peak ) في اميركا حيث مقدار الأكسجين لا يزيد على ٥، ١٢ في المائة . واستناداً الى التجارب التي جرت بالطيارين الذين يحلقون الى مرتفعات عالية جداً ، لا يشعر المرء بهبوط قواه كما تهبط قوى رجال الغواصات ، الا اذا هبط مقدار الاكسجين الى ١٠ في المائة على شريطة بقاء مقدار ثاني اكسيد الكربون معتدلاً أو سويّاً

فازالة ثاني اكسيد الكربون من هواء الغواصة يجب ان يضاعف مدى استنشاق الهواء بغير ان تحدث العواقب التي اشرنا اليها . ومعلوم ان الجهد العضلي يزيد مقدار ثاني اكسيد الكربون الذي ينفثه رجال الغواصة في تنفسهم . فاذا تعذر تجديد هوائها لسبب ما فعلى الرجال الذين لا يتعين عليهم النهوض بعمل خاص ضروري ان يلبثوا في اماكنهم بغير حراك.



وإذا كانت درجة الحرارة عالية فعليهم أن يتجردوا من ثيابهم ليحتنبوا انفاق الطاقة التي لا بد منها لتوليد العرق . لأن العرق وسيلة الجسم لخفض حرارته . وبهاتين الوسيلتين ينقص توليد ثاني أكسيد الكربون واستنفاد الأكسجين إلى أدنى حدٍّ مستطاع .  
وقد وضعت الاميرالية الاميركية حدوداً لمقدار الأكسجين وثاني أكسيد الكربون في هواء الغواصات لا يجوز تعديها الا اضطراراً فالاول لا يجب ان يهبط دون ١٧ في المائة . والثاني لا يجب ان يزيد على ٣ في المائة وبذلك يضمن للرجال هواء يقيهم شروراً عظيمة

\*\*\*

وعلى ذكر الهواء النقي وغير النقي في الغواصة ، يجب ان نعرِّج على موضوع الغازات السامة التي تتولد في احوال معينة وتتسرب إلى الهواء . فاذا تطرقت مياه البحر إلى بطاريات التخزين الكهربائي تولد مقدار كبير من غاز الكاور . ووجود مقدار منه يبلغ خمسة في الالف من شأنه ان يعرض الرجال لخطر كبير . ومن الغازات السامة التي أفضت إلى تسمم رجال الغواصات البريطانية غاز الأرسين Arsine وقد حدثت إصابات تسمم مزمن بهذا الغاز في الحرب العالمية الأولى . وكانت الحوادث الأولى في غواصات مضى عليها ثمانى عشرة ساعة وهي تتولى عمل الدورية في منطقة ما . فأصيب فريق كبير من رجالها بالدوار مع انهم متمرسون بحياة البحر والدوار أبعد ما يكون عنهم عادة . وتحولت اصابتهم إلى ما يشبه اليرقان ووصفوا بأنهم « البحارة الصينيون » عند عودتهم إلى البر . وظن اولاً ان مردّ اصابتهم إلى التسمم بأول أكسيد الكربون ثم ثبت ان غاز الأرسين هو السبب

ووجد الزرنيخ (وهو المادة الأساسية في الأرسين) في شعر الرجال وأظافرهم . وبعد البحث توصلوا إلى معرفة سرّ تولده ، فاذا هو في صناديق البطاريات ولم تكن مصنوعة صنفاً دقيقاً وفقاً للمواصفات الفنية

ومن نحو سنتين أو أكثر قليلاً رويت رواية عن إصابة غريبة بالغاز في إحدى الغواصات الإيطالية وورد ذكرها في بيان سلاح الغواصات الإيطالية . ففي اليوم الرابع بعد قيام الغواصة من قاعدتها أصيب معظم رجالها بالضعف والصداع والدوار والقيء وضعف الذّاكرة وكان لابدّ من علاجهم وراحهم مدى خمسة أيام إلى خمسة عشر يوماً قبل شفائهم . وعرف السبب فاذا هو غاز « ميثيل كلوريد » Methyl Chloride المستعمل في أجهزة التبريد ومن المخاطر التي يتعرض لها رجال الغواصات خطر غاز الايدروجين مع انه ليس غازاً ساماً . وهو يتولد في بطاريات التخزين الكهربائي في أثناء شحنها بالكهرباء . ومن المتعارف



انه اذا بلغ مقدار الايدروجين في الهواء ١٤ في المائة اصبح الهواء قابلاً للاشتعال واذا بلغ المقدار ٨ في المائة اصبح قابلاً للتفجر . ولذلك تستعمل وسائل خاصة للتهوية لكي لا يزيد مقدار الايدروجين على ٢ في المائة . ومع ذلك رويت روايات عن حوادث انفجار في بطاريات الغواصات وغيرها في جميع اساطيل العالم . وعدد المصابين في هذه الحوادث كان كبيراً واذا كانت حرارة المياه التي تغوص الغواصة فيها عالية نقص ما يشعهُ جسم الغواصة من حرارته . فترتفع الحرارة في الداخل ارتفاعاً لا يطاق ويكثر تصبب العرق من الجسم وقد يبلغ اوقية من الماء في الساعة اذا كان الرجل مستريحاً . وقد يبلغ ثلاث اوقيات اذا كان يعمل عملاً يحتاج الى جهد عضلي كبير . وقد تغلب المهندسون البحريون على هذا باختراع أساليب تمكنهم من نزع الرطوبة من الهواء وخفض الحرارة بوسائل شتى للتبريد

والهواء في الغواصات الحديثة التي تنقل عدداً كاملاً من الضباط والرجال يكفيها مدى ٢٤ الى ٢٧ ساعة بغير تجديد . ففي هذه المدة يرتفع مقدار ثاني أكسيد الكربون الى حوالي ٣ في المائة . ولذلك ليست هناك حاجة الى تجديد هواء الغواصة في أثناء السلام وهي تغوص غوصاً عادياً الا اذا أصيبت بكارثة ألزمتها البقاء تحت سطح البحر مدة طويلة

أما في أثناء الحرب ، فالغواصة تطفو على سطح البحر في الليل للتهوية وشحن البطاريات ولينفَس رجالها هواء الليل . ولكن قرب سفن الأعداء من مكان الغواصة قد يقتضي منها الامتناع عن الصعود الى السطح وعندئذ لا بد من الالتجاء الى أساليب تجديد الهواء وقد يسأل سائل عن أطول مدة تستطيع الغواصة ان تبقى في خلالها تحت سطح البحر بغير ان يفسد الهواء ويتحتم تجديده . والجواب ان أقصى مدة معروفة هي ٩٦ ساعة . وكان ذلك في الغواصة الأميركية ١٥ - ٠ وكان عدد الرجال الذين غاصت بهم ثلاثة وثلاثين رجلاً . وكان ذلك في سنة ١٩١٨ ولم يزد مقدار ثاني أكسيد الكربون في أثناء هذه الغوصة عن ٢٤ في المائة ومقدار الاوكسجين عن ١٨،٢ في المائة

\*\*\*

ومن أبرع المخترعات الحديثة الخاصة بالغواصات اختراع يعرف باسم « رئة الغواصة » وهو جهاز يركب على الانف والفم فيستنشق لابسهُ من أحد جانبي الجهاز اكسجيناً نقياً بمقدار وينفث نفثه في الجانب الآخر حيث توجد مادة تمتص ثاني أكسيد الكربون . وعند ما يخرج الغواص من غواصة غارقة الى سطح البحر يستطيع ان يقفل صمامات هذا الجهاز ويستعمله منفوحاً معوئاً على الطفو وحفظ الجسم من الغرق



# الجنّليان !

قصة مصرية

بقلم : محمود تيمور بك

كنتُ وصديقي « عزّوز » إذا طالت جلستنا في القهوة ورغبنا في تناول العشاء قصدنا مطعم « فورفاتلى » بشارع عدلي ... نفصّله على سائر المطاعم — بالرغم من صغره وتواضعه — لعنايته بإعداد بعض الألوان الإيطالية الأصيلة وأعلن السنيور فورفاتلى أنه سيحدث انقلاباً في مطعمه يتناول كل شيءٍ فيه بالتجديد . وذهبت يوم الاحتفال بافتتاح المطعم في مظهره الحديث فلم نر إلا تغييراً يسيراً سطحياً ، إذا استثنينُ امرأةً واحداً جديراً بالملاحظة ، ذلك بأن السنيور فورفاتلى رأى أن ينصب على مقربة من باب المطعم دمية من ورق مقوى تمثّل سيداً أنيقاً يحمل في يده قائمة الطعام ، وكانوا يسلطون على هذه الدمية نوراً كهربائياً تبدو به بهجة تستوقف الأنظار

ووقفت أتأمل هذه الدمية فلم ترقني هيئتها على ما امتازت به من اتقان في الصنعة ومثّل السنيور فورفاتلى عن كثب منا يحدثنا في شأنها مسهباً ، ويكشف لنا عن مواطن الاتقان والبراعة فيها ويثني على صانعها الفنان أطيّب الثناء

كانت هذه الدمية تمثّل شخصية السيد المتظرف الانيق « رجل الصالون المصري » وأنيس كل حفلة شائقة . ومن منا يجهل هذا الزهو المتحدلق وهو يخطر في لبوس المحافل الرسمي ووجهه الأمر مستنيرٌ بشبه ابتسامة يختلط فيها الترحيب بالكبرياء . وهذا « المونوكل » المثبت على حُقّ عينه بمهارة خليقة بالأعجاب ، وهذه الشملة السوداء ذات البطانة الحريرية البيضاء يبسطها على كتفيه في تأنق مصحوب بإهمال مقصود . وأخيراً هذه اليد المكسوة بالقفّاز الأبيض أخذة بعضاً مفضضة القبض متلعبة بها . لبثت أتأمل الدمية وقتاً وقد شغلتنى



شخصيتها عن قائمة الطعام الماثلة في يدها اليسري ، ولكن السنيور «فورفاتلي»  
نّبّهني إلى أن عشاء الليلة يحوي غير «الاسبجتي النابوليتانية» صحناً من  
«الرافولي» الفاخر . ثم تركنا ليستقبل بعض رواد مطعمه . وملتُ على صديقي  
عزّوز أقول وأنا أشير الى الدمية :

ما رأيك في هذا الصديق الجديد ؟ !

— لقد أتى به السنيور فورفاتلي ليستقبل ضيوف المطعم ... ألا ترى يده  
التي تحمل القائمة مشيرة الى الباب ترشدنا اليه وترحب ؟ !  
— انها طريقة جديدة في تكريم الزوّار كأنني اسمعه يقول لنا وهو يدعونا  
الى الدخول : تفضلوا يا سادة ، وبالمسمّ الهاري ... !  
وتبادلنا الضحكات ودخلنا ..

\*\*\*

كنت كلما ذهبت الى مطعم فورفاتلي ، لقيني وجهُ ذلك «الجنّامان»  
المتعطر بابتسامته الكاسفة ، فيرشق كلّ منا صاحبه بنظرة عجيبي ، نظرة يتجلى  
فيها الاحتقار والذراية ، وما هي الا ان أحول طرفي عنه وأنا أحتُ خطاي  
نحو الباب

وجلست مع صديقي عزوز على مائدتنا المختارة في المطعم تتذوّق حساء  
«المينسترون» اللذيذ . وبغثة رفعت رأسي وقلت :  
لو كنت حاكماً بأمره لقضيت على هذه الفئة الغشوم ...  
فقال عزوز وهو منهمك يأكل :  
أي فئة تعني ؟

— فئة هؤلاء الجنّامان الزيفين ... هؤلاء السادة المتعطلون ... هاته الدُهي  
التي تخفي تحت مظهرها الرشيق رؤوساً خاوية لا يسكنها إلا الصلف والازدراء  
بالناس ...

فأجابني عزوز وهو ما زال منكباً على حسائه :



لا تنس ان هذه الفئة هي زينة حياتنا الاجتماعية العصرية ... !!  
وأقبل علينا السنيور فورفاتلّي يستطلع رأينا في حساء « المينسترون »  
وقبل ان نجيبه بكلمة انطلق لسانه بحديثٍ كأنه السيل الجارف يصف محاسن  
هذا الحساء وجودة طيبه ...

\*\*\*

وصادفت عزّوز مساءً أحد الأيام في القهوة فبادرني بقوله :  
سندهب الليلة حتماً الى مطعم فورفاتلّي .  
فقلت له وأنا أخلع طربوشي وأمسح وجهي  
ورلم ؟

— لقد مررت به وأنا في طريقي الى هنا ، فاستقبلني « صديقك الجنّلمان »  
وقرأت في قائمة الطعام التي يحملها في يده ان عشاء اليوم يحوي لونا من  
« اللازانيا »

— اللازانيا ... إنها لذيذة ... !

— لذيذة جداً ...

— ولكن ...

— ولكن ماذا ... ؟

— ليس لي رغبة في الذهاب ... !

— كيف ... أأست جائعاً ؟ !

— جائع ... ولكنني ... ولكنني أفضّل أكلةً طريفة من الطعمية

والقول ...

— لقد سقم ذوقك بلاريب ، أفضّل الطعمية والقول على اللازانيا .. ؟ !

— وماذا في ذلك ؟ !

أتذكر أنك كثيراً ما طلبت من السنيور فورفاتلّي هذا اللون من الطعام

— هذا صحيح ... ولكني لا أحسّ الليلة رغبة في تناوله ...



وأصررت على رأي فلم أرافقه

\*\*\*

وقلّ اختلاف في المِطعم «فورفاتي»، فكان صديقي عزّوز يعجب من الصرافي عنه، وزهدي فيه، ويسألني في ذلك، فأزعم له أن المِطعم — منذ تجديده — قد فقد طابعه القديم، وفقد مع هذا الطابع ميزته في جودة الطهي وإرضاء رواده، فكان عزّوز يحتج على هذا بقوله:

إني أرى المِطعم — على عكس ما تقول — يزداد اتقاناً لآلوانه، وكذلك

استطارت شهرته

وخرجت مرّة من المِطعم، وبينما كنت ماراً عن كُتب بالجنّتمان إذ عثرت قديمي وكدت أسقط على الرصيف سقطة لا تخلو من خطر لولا أن أدركني عزّوز فاعتدلت في وقفتي وأنا أصلح من شأني، ووقع بصري على «الجنّتمان» وهو مائل في وقفته الأرستقراطية المتحدقة، فاذا هو منطلق الوجه في بشر وانتصار وراعتني منه ابتسامة لم ألمحها على ثغره في هذا المظهر الساخر قبل الآن. وخيل إليّ أن شفّيته تتحركان بغمغمة: ما أشدّ غباوتك من رجل غفل. وشملني اعتقاد راسخ بأن هذا «الجنّتمان» كان سبب سقطتي... أتكون قدمه اليمنى في حذاءها اللامع الأنيق قد امتدت في طريقي فأعترتني. أو تكون تلك العصا الممقوتة ذات المقبض المنفض قد استطالت واعترضت قديمي... ودنوت منه وقد رفعت يدي لأهوى بها على صدغه المصعّر... ولكنني وجدّتي انتزع قائمة الطعام من يده وأمال عليها أمزّجها شرّاً ممزق...!!

منذ ذلك الحادث لم تطأ قديمي مِطعم «فورفاتي» وقابلت «عزّوز» يوماً فحمل إليّ خبراً خطيراً. ذلك أن السنيور «فورفاتي» أفلس، فلقد كان ممن يضاربون في السوق المالية، فأصابته نكبة رازحة، فاضطر أن يُغلق مِطعمه، ورأيتني أفاجئ صديقي بقولي:

والجنّتمان؟

إن مصابي في المِطعم أكبر من أن يجعلني أهتم بهذه الدمية..



— ولكنك تعلم على الأقل ما حلَّ بمطاع السنيور فورفاتللي .. ؟  
 — علمت أن كلَّ ما يمتلكه في المطعم قد بيع بالزيادة ..  
 ولم أطل معه الحديث في هذا الشأن ، وفي اليوم التالي قصدت الى المكان  
 الذي كان يشغله المطعم ، وطفقتُ أسأل البوابين والجيران عن اشترى  
 « الجنة » فلم أحظُ بجواب ...  
 وتركت المكان وأنا مغيب ...

\*\*\*

وتوالت الايام ، وبينما كنتُ ماراً في حارة « جامع البنات » أمام حانوت  
 « كوهين الوراق » إذ رأيت نفسي وجهاً لوجه أمام « الجنة » فبُهِتُ ،  
 وأحسستُ لحظة حيرة وارتباكاً ، ولكن سرعان ما تزايد ذلك عني وألقيتُ  
 بنظرة متفحصة عليه فوجدته يحمل في يده اليسرى لوحاً من الورق المقوى  
 مثبتة فيه بطاقات زيارة في أشكال مختلفة وخطوط شتى . وكان كعهدي به  
 يرتدي لبوس السهرة وعلى كتفيه تلك الشملة الثمينة ملقاة في إهمال مقصود وما زال  
 قابضاً بيده اليمنى على عصاه الثمينة ذات المقبض الفضفض . كان هو هو ذلك  
 الجنة الارستقراطي عريس الصالون العصري ... ولكن شيئاً واحداً  
 لحظته لم أعده فيه من قبل ، شيئاً راعني وأشعري بإحساس غريب هو تلك  
 النظرة التي ينو بها للناس . لقد تضاءلت لمعتها الوهاحة النظوية على الزهو  
 والصلف . أما وجهه فقد شاع فيه النحول والسقم واكتفى بطابع الأسى .  
 وخيّل اليّ وأنا أتفحصه انه كان يزيغ بصره عني ليتجنب مواجهتي . وكأنه  
 يتململ في وقفته ضجراً ... فابتسمتُ وقد انكبتُ على بطاقاته أتفرج وأنا  
 أتهمهم : يا للحظ العاثر من مطعم فورفاتللي الفاخر في شارع عدلي الى ورق  
 صغير في حارة جامع البنات ... !

وداعبتُ بعصاي عصاه فشعرتُ بها تهتز في يده على وشك أن تنحطم  
 فتركتها ومضيت في طريقي ...

لا أدري ما الذي دفعني الى أن أكثر ترددي على حانوت « كوهين »  
 الوراق ، فأجعله مكاناً مختاراً أقضي فيه بعض الأصائل . لعله ذلك الجو القديم



الذي يشمل حارة « جامع البنات » وملحقاتها حيث يطيب للراء أن يستعيد ذكريات الماضي المحببة . . . أو لعلّه شيء آخر لم أستبته . وعلى أية حال فاني لا أنكر أنه كانت تحلو لي جلستي على المقعد الخشبي الخشن أمام الحانوت أرشف القهوة وأدخن على مهل ، وغير بعيد عني صاحبنا « الجنّتان » في وقفته التي لا تتغير يحمل على مضض وكره منه لوح البطاقات يعرضه على المارين . وكنت أمضي وقتي صامتاً أراقب دخان لفافتي ثم أترأخي في جلستي وأطبق جفني حالماً فأحس أن « الجنّتان » يهمس مهمماً بالفاظ لا أتبينها . ثم يتوضح رويداً حديثه فأرشف له السمع فإذا به يروي نبذاً من تاريخ حياته — قصصاً جديرة بالتسجيل يصف بها مغامراته الغرامية وصوراً طريفة من حياة الصالون ومراسمه لا تحلو من مبالغات وأكاذيب كان يرويها لبقاً في صوت التأمّر المزهو . ولكن كثيراً ما يخونه صوته فيضعف مترايلاً في لهجة أشبه بلهجة الاسترحام وإذا بوجهه يزداد شحوباً وقامته تتقوّس و « المنوكل » يهوي عن عينه ورأسه يميل على صدره وقد غمره صمت شامل . . . فأصحو مرتاعاً . ولا أكاد أنفت إليه وتتلاقى عيوننا حتى أحس رجفة تمر في جسدي فأقوم التمس الطريق في العتمة المقبلة

\*\*\*

وكنا في مستهل الصيف فتهياً لي الرحيل الى رأس البر وأقمت فيه نحو شهر ولما عدت قصدت الى دكان الوراق فلم أر صاحبي « الجنّتان » في مكانه المألوف فسألت « كوهين » عنه فأخبرني وهو لم يغادر مقعده أمام مكتبه وأتقه المقوَّس الطويل يعبت في دفتر الحساب وقال :

لقد ضقنا ذرعاً به . طالما شكّا المارة منه زاعمين أنه يشغل حيزاً كبيراً في الحارة فيعوقهم في الغدوّ والرواح  
— وماذا صنعتم به . . . ؟

— بعناه . . .

— لمن ؟



— لشخص لا أعرفه ... رضي ان يدفع لي مبلغاً حسناً ثمناً له  
فتركت الحانوت على الأثر وأنا ضيق الصدر وقد تجلّت أمامي صورة ذلك  
السيد الارستقراطي الأنيق وهو واقف في سوق الرقيق تتناقله الأيدي كمتاع  
غث رخيص وقد ستر وجهه بطرف شملته ليخفي نفسه عن أعين الشامتين ...  
في حارة « جامع البنات » ...

وانقضت بضعة أشهر كدت أنسى فيها حوادث صاحبي « الجنتمان » وبينما  
كنت أمرُّ بحارة « بين الصوريين » في « الموسكي » إذ شعرت أن يداً تأخذ  
بطرف سترتي ، فالتفت فلم أر إلا كومة من الملابس البالية موضوعة على شبه  
مشجب أمام حانوت من حوانيت بيع المتاع القديم ، فلم أعن بالأمر ، واعتزمت  
مواصلة سيرتي ، غير أنه استرعى نظري على حين بغتة شيء يشبه اليد في قفاز  
أبيض قدر قد ظهرت من بين الملابس ، وتصور لي أنها كانت تضطرب ، كأنها  
تستوقفني ، فعدت أدراجي وقلبي يدق ، ومضيت على الفور أرفع كومة الملابس عن  
المشجب فبان لي رويداً صديقي « الجنتمان » . يالله ما أشدَّ شحوبه ، وما أكثر  
تجاعيد وجهه ورأيت أنه يتنفس الصعداء ويحاول أن يرفع قامته المقوسة التي  
حناها وأذلها وقر تلك الملابس القديمة ... وقفت أتأمله في حيرة وحيرة  
لا أجد من نفسي الشجاعة على الدنو منه . لقد كان كلُّ شيء فيه ينطق بالبؤس  
والفاقة . شملة ممزقة ، وكسوة قدرة عاثت فيها يد التخريب . . . . وعصاه الثمينة  
لم يبق منها غير مقبضها الفضي الحائل حَرَص على أن يبقيه في يده ذكرى لحياة  
العز والسؤدد . . . « والنوكل » ؟ لم أر له أثراً . . . ولكن كل ذلك لم يعد  
شيئاً مذكوراً إذا وازناه بما دهم عينيه ... يالله قدر القاسي . لقد أصبحنا مثقوبين  
فهل فقد حاسة الأبصار ؟ . . . وأخيراً وجدتني أدنو منه بخطاهينة ثم أطبقت  
بيدي على يده وطفقت أهزها في حنو وإخلاص فأحسست شفتيه تحتلجان  
بابتسامة مكتئبة وكأن جفنيه قد انطبقتا وانحدرت منهما قطرتان لامعتان ...  
وفي لحظة ألفيته ينهار أمامي ويصبح كومة من الانقاض !!

انتهى



ما أسداه الدكتور جون بول الى :

## المساحة المصرية

المستشار الفني بمصلحة المساحة والمناجم المصرية  
سيرته ومؤلفاته

للدكتور - اصمحر موسى

في اليوم الحادي عشر من شهر يوليو الفائت في نحو الساعة الخامسة عشرة — الثالثة بعد الظهر — انتقل الدكتور جون بول Ball الى عالم الخلود بعد حياة حافلة بالعمل الجليل قضى منها في خدمة مصلحة المساحة والمناجم المصرية نحو الثلاثة والأربعين عاماً (١) ولولا الحرب الدائرة الرحي واستثثارها باهتمام الناس لكان لوفاة جون بول صدى بعيد المدى نظراً لمكانته الرفيعة وخدماته الجليلة للجغرافيا والجيولوجيا وعلم الآثار ، ولكن نعيه سبباً في نشاط علمي كبير يتناول كل ما ذكر من العلوم والبحوث وهو الابن البكر لـ لا بنيزر بول Ebenezer Ball من دربي ، وقد تزوج وهو في سن السادسة والأربعين من صغرى كريمات الوجيه جيمس رسل وايت J. R. Waite ، وله منها ولد وحيد كان طبيباً في انكلترا ثم انتظم في سلاح الجو البريطاني في الحرب الحالية قضى الدكتور بول كل حياته في خدمة العلم بالسفر والارحال والمشاهدة والدرس والفحص ، ثم في تسجيل ما درس وعان تسجيلاً دقيقاً وتلقى الفقيه علومه العالية في كليتي العلوم والمناجم بلندن ، والتحق بالأكاديمية الملكية للمناجم في فرايبورج Freiburg ، كما انه قضى وقتاً ليس بالقصير في جامعة زوريخ بسويسرا ثم اشتغل عملياً بشركة فينكس الكبرى Phoenix واشترك في وضع تصميم جسر (كوبري) بارتس بانكلترا

(١) ولد الدكتور بول في ١٥ يناير سنة ١٨٧٢ والتحق بخدمة المساحة المصرية في ١٧ سبتمبر سنة ١٨٩٧ أي أنه عاش ثمانية وستين عاماً وأربعة اشهر وخمسة وعشرين يوماً



وأول عمل مارسه كان في آيل أوف مان Isle of Man وهي جزيرة في البحر الذي يفصل أيرلندا عن انجلترا ، ثم واصل التعليم في ألمانيا وأسبانيا دون ان يضع الفرصة التي أتحت له ، فتعلم الألمانية والأسبانية عامي ١٨٩٥ و ١٨٩٦

وفي ١٧ سبتمبر عام ١٨٩٧ عيّن في مصلحة المساحة المصرية التي بدأ الدكتور ليونز بتأسيسها . فهو دعاية متينة في بناء المصلحة . كما حمل تبعات منصبه بفطنة وجد وأمانة فيما له علاقة بطبقات الارض والجغرافيا واشترك في بعثاتها التي تولت البحوث العلمية في شبه جزيرة سيناء وأراضي مصر والسودان ، ثم ندب للعمل في وزارة الاشغال على ترميم أساس معبد فيليه قرب اسوان في عامي ١٩٠١ و ١٩٠٢ فألهم عليه وقتئذٍ بالنشان المجيدي تقديراً لعمله وفي أثناء الحرب العالمية الماضية انضم الى هيئة حراسة الحدود المصرية وهي التي قامت بأعمال المساحة المتعلقة بالإغراض الحربية في صحراء لوبيا ، كما أعدّ كثيراً من الخارطات الحربية فضلاً عن الخارطات التي أفادت منها البعثات المساحية فيما بعد . فضلاً عما أداه من الخدمات للحكومة البريطانية في بحوثها بأراضي الصومال وبلاد العرب ، ومساهمته في مشروع تنظيم الخط الجوي البريطاني من مصر الى بغداد ذهاباً وعودة في سنة ١٩٢١

ولم يكن الدكتور جون بول قعدة على كرسي الوظيفة بين جدران المصلحة ، بل كان جوّاباً جوّالاً فطاف أنحاء مصر شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً باحثاً ومنقباً في كل جدير يبحثه او خليف بتلقيه او قمين بدرسه

وتأهيك بسفر الصحراء وما يتكبد به صاحبه من مشقة ويتحمّله من اعياء وتعب . فلم تكن طرقها بالمهدة على ما نراه الآن ، ولا معالمها بالموثوق بها في دلائلها كما استجد الأمر بعهدنا هذا ، فلشد ما انتهكت قواه ولمس الاخطار وتعرض للهلاك مرات ومرات ، فقد طوى الفراسخ على ظهور الأبل القلص ، وسيراً وسرى على الاقدام

\*\*\*

كان الدكتور بول متعدد النواحي في علمه ذا مؤهلات ممتازة ومعين ذكاء لا ينضب قادراً على العمل وتطبيق العلم عليه حتى أجازته بضع كليات بأعلى رتبها الفنية فكان دكتوراً في العلوم D. Sc. ودكتوراً في الفلسفة P. H. D. وعضواً في معهد المهندسين المدنيين M. Inst. C. E. وزميلاً للجمعية الملكية للمناجم A. R. S. M. وعضواً في الجمعية الجيولوجية بلندن F. G. S. وعضواً في الجمعية الجغرافية الملكية بها F. R. G. S. وعضواً فخرياً في غيرها من الجمعيات ، وألهم عليه بوسام O. B. E.



واليك بياناً وافياً بآثاره

- ١ — (طبوغرافية وجيولوجية الواحة الخارجة) طبع بولاق سنة ١٩٠٠ صفحاته ١٦٦ و ٣٥ رسماً وخارطة قدمه بفذلكه عن جهود من سبقوه من العلماء امثال هوسكينز Hoskins وتيتل Zittel وشواينفورت Schweinfurth وبروجش Brugsch وجولينشف Golenischeff وليونز Lyons وبه وصف دقيق للطرق المؤدية الى الواحة ولموقعها وللآثار والمعابد والمدن القديمة ، وكذلك الحصون الرومانية وبقايا الآثار المسيحية والعيون والآبار فيها ، هذا الى جانب تحديد موقع الواحة وأثر العوامل الجوية فيها
- ٢ — (بعض النتائج الأولية لطبوغرافية وجيولوجية جبل جرّه وواحة قرقر) طبع بولاق ١٩٠٢ ، صفحاته ٤٠ و ٧ خارطات ورسوم . ولقد امتازت هذه الرسالة بتعريج المؤلف على الناحية الاجتماعية والحياة الزوجية في تلك الواحة
- ٣ — (طبوغرافية الواحة البحرية وجيولوجيتها) بولاق ١٩٠٣ صفحاته ٨٤ و ١٠ خارطات ورسوم واشترك معه في تأليفه بيدنل Beadnell وصف فيه الطرق المؤدية الى الواحة وطبيعتها وموقعها والآثار والمعابد فيها
- ٤ — (الشلال الاول أو شلال اسوان بولاق) ١٩٠٧ صفحاته ١١٣ و ١٣ لوحة و ٢٠ صورة وصف فيه موقع الشلال وصلة اسوان بالجغرافيا القديمة وما قيل عن هذا الشلال في المؤلفات السابقة له
- وضمن الصور ما يبين فحس الصخور فحساً ميكروسكوبياً وهي موصوفة وصفاً علمياً دقيقاً
- ٥ — (طريقة جديدة في مسح الشواطئ) بولاق ١٩١١ صفحاته ٤٦ و ٣ لوحات وأربعة اشكال وهي رسالة طريفة طابها علي بحت بالنظر الى ما تناوله المؤلف فيها من القوانين والجداول الرياضية والهندسية والقياسية
- ٦ — (نيزك النخلة البحرية — مركز ابو حمص بحيرة) بولاق ١٩١٢ صفحاته ٢٠ و ٣ لوحات وخرائط . وهو وصف شامل للنيزك الذي سقط في نحو الساعة التاسعة من صباح ٢٨ يونيو سنة ١٩١١ ، ولغيره بما كن اخرى
- ٧ — (جغرافية الجنوب الشرقي للقطر المصري وجيولوجيته) طبع بولاق ١٩١٢ صفحاته ٣٧٧ و ٢٨ لوحة وخارطة و ٦٢ شكلاً ورسماً ، وهو مجهود علمي شاق يتشابه



مع سابقه من حيث الدقة العلمية إلا أنه أكثر تعمقاً وأوسع أفقاً

٨ — (مواقع الفوسفات) بولاق ١٩١٣ صفحاته ٦ وخارطة . وهي رسالة لبيان مواقع هذا الملح في الاراضي المصرية

٩ — (طبوغرافية منطقة الفوسفات في سفاجة وجيولوجيتها) بولاق ١٩١٣ صفحاته ١٩ و ٤ لوحات وهي رسالة وصفية لهذه المنطقة الواقعة بالصحراء الشرقية المصرية

١٠ — (جغرافية غرب سيناء الوسطى و جيولوجيتها) بولاق ١٩١٦ صفحاته ٢١٢ و ٢٤ لوحة وخارطة و ٥٤ شكلاً وصورة فوتوغرافية . وهو من الكتب الشاملة ، يقع في سبعة أبواب : الاول وصف عام للطرق المؤدية الى وسط سيناء وللآثار والسكان . والثاني أعمال المساحة الجيولوجية . والثالث الوديان وما اليها . والرابع الجبال والتلال . والخامس للمنطقة المحصورة بين زينيا والسويس . والسادس للجيولوجيا الاستراتيجرافية Stratigraphical Geology والسابع للجيولوجيا الطبيعية ، Physical Geology

١١ — (تقرير عن أعمال تفتيشية على آبار معينة في الواحات الخارجة) غير مطبوع (١٩١٧) يقع في ١١ صفحة فولسكاب بالآلة الانكليزية الكاتبة . وصف فيه نحو الستين بئراً في تلك الواحات واعتقد — بعد ما علمته من اهتمام وزارة الزراعة المصرية بمسألة تعمير الواحات والعمل على إمدادها بالماء — ان ما جاء في هذا التقرير من أتعاف ما كتب في هذا الشأن حتى الآن

ولعلنا نطمع في أن تعنى وزارة الزراعة بدراسته في المستقبل القريب

١٢ — (تقرير عن مناطق الزيت في الصومال البريطاني) بولاق ١٩١٨ صفحاته ١٧ و ٧ لوحات وخارطات . اشترك في تأليفه المستر طمسون Thompson

١٣ — (مذكرات عن الأعمال البحرية الجديدة) بولاق ١٩١٨ صفحاته ١٣ بلوحتين واشترك في تأليفه المستر طمسون Thompson

١٤ (كتاب الاسطرلاب المنشوري) بولاق ١٩١٩ صفحاته ٢٨٠ . واشترك في تأليفه نو كس — شو H. Knox-Shaw . والاسطرلاب آلة فلكية قديمة تستخدم في قياس الزوايا التي بها يمكن تحديد خط الطول وخط العرض لمكان ما . والكتاب جداول في غاية الدقة ، لها مقدمة تفسيرية

١٥ — (مذكرات عن تحديدات حديثة لمواقع جغرافية في صحراء ليبيا) بولاق ١٩١٩



صفحاتها ١٥ . وهي نتيجة البحث الذي تم في أثناء الحرب بين سنتي ١٩١٥ - ١٩١٨ . تكلم فيها عن وادي النطرون والمغرة والصحراء الواقعة بين مرسى مطروح وواحة قارة وما حولها وواحات السلوم وواحات سيوة وجغبوب ووفرافرة والخارجة والداخلة والكفرة وبيير الطرغواي وعين هذه المواقع جميعها بالدرجة والثانية

١٦ — ( اطلس الجداول الاسطرلابية البليانية ) بولاق ١٩٢٨ . وهو شامل لخمس لوحات كبيرة

١٧ — ( مد مرسى مطروح بالمياه ) وهي الرسالة رقم ٤٣ طبع مصلحة المساحة بالآلة الكاتبة . تشمل ثلاثة اشكال اخرى مأخوذة بالآلة الفوتوغرافية وبها جدول وثلاث لوحات

١٨ — ( على هامش جغرافية مصر ) بولاق ١٩٣٩ صفحاته ٣٠٢ و ٩ لوحات وخارطات و ٤٢ شكلاً ورسمًا وهو كتاب شامل خلاصة دراسات وافية وبحث طويل قام به المؤلف في المرحلة الأخيرة من حياته . قدم له بنظرة عامة في تكوين الأرض المصرية في الحقب والمراحل الجيولوجية المختلفة . ثم تناول خط سير النيل ومجراه وشاطئيه بالبحث المستفيض كما عالج تطورات المستوى الأرضي والبحري ومنطقة السد حيث توجد بحيرة كبرى . جاء في تسعة ابواب ثامنها مخصص للفيوم وبحيرتها . ولم يفت المؤلف ان يبين لنا آراء غيره ممن سبقوه فذكر علماء أمثال Jomard و Linant de Bellefonds و Schweinfurth و Beadnell و Grenfell & Hunt و Hanbury Brown و Flinders Petrie و Sandford & Arkel وزود هذا المؤلف النفيس بخارطة بين عليها أسماء المدن في عصر البطلمة وما يقابلها في هذا العصر فضلاً عن البيانات الطبوغرافية للأراضي

١٩ — ( آراء قدماء المصريين في الكون ) انتهى منه المؤلف وعاجلته المنية قبل طبعه فهو آخر ما كتب ويقع في نحو ٣٥٠ صفحة

ولا يسعنا الكلام عنه قبل درسه ولكنه على كل حال من خيرة ما كتب كما أفادني عن ذلك حضرة صاحب العزة الأستاذ حسن فؤاد بك المراقب العام لمصلحة المساحة وهو الذي أخذ على عاتقه إبراز هذا الكتاب بالقدر الذي يناسب قيمته وقيمة مؤلفه



# جَدِيقَةُ الْمُقْتَضِفِ

---

## مختارات من « مي »

---

١ - عن قزمي إلى الهول

٢ - عائشة عصمت نيجور

٣ - كولبوس

٤ - شرر ومب



## (١) مختارات من « مي »

رحمة الله عليها

ونفعنا الله بما خلقته من أدب رفيع

١ - عمر فرمى إلى الزهول (٢)

الافق واسع واسع، والليل عميق عميق، وأنوار المساكن وأضواء الشهب في أحشاء الدجى جراح وحروق، وأصوات المدينة تحدث عن أوصاف المدينة جاهلة ما عداها، لذلك جئت انشد الاختلاء والسكينة وراء تلال فصلت بين عمران البشر الضاح المقيّد وعمرانك المستقلّ في حضن السكوت غير المتناهي تتألم على البسيطة شعوب ودول. تأتي بالاديان والشرائع واللغات والعادات وتتبارى هازئة في محو عمل الاجيال زلازل وبراكين وأعاصير وصواعق وأوبئة وثورات وزعازع وطوفانات - وأنت هنا ربض أمام اهرام انتصبت في وجه الفضاء تنقض أحكام الفناء. والهياكل تلقي بين يديك حديث الدهر بالفاظ الحجر والصوان وتعزّزه بصور الأرباب والملوك والسكّاة. وكان ما نزل بها من العاديات بعض تلك الصور المنيلة خطابها بلاغته وروعته

ها هنا تربض فريداً على وثير الرمال في مملكته الفحاء، مملكة الكتمان والايامن والجلال، وعظمة القياصرة حديثة النعمة دميعة حيال عظمتك المجردة الرفيعة. والانسان المتطاوّل الشغوف بهتك الاستار يدخل ايوان وحدتك السني ولكنك في غيبوبتك غير منظور لهذه الاشباح الفانية، وغير ملموس لهذه الأيدي الذبائية المتنقلة على محالبك ومنكبيك مزاحاً واستقصاء

غير ان الانسان ليس بالمزاح المستقصي فحسب، بل هو خصوصاً اللاعب المتألم. يتناولوه من الكون قهراً دوّار الفواجع. والنوائب فيدرك ان الثبات العام منسوج من الوجع والاضطراب، وان البقاء الظاهر مصنوع من التغير

(١) توفيت ظهر الاحد الموافق ١٩ أكتوبر ١٩٤١

(٢) نشرت أولاً في العدد الممتاز من جريدة السائح التي تصدر في أميركا



والتحول . يدرك مأساة الكفاح بين الحرية والقدَر . يدرك ان عججات القوى  
تضيع جزافاً في شلال الذراري والانسال الجارف الآلهة والمحاررين والشارعين  
والقديسين والانبياء والقتلة والقتلى سواسية . يرى التعاسة على طريق العروش  
والصوالة والتيجان تختلط بقيود المجرمين . يرى الاعراس والجنازات والمواليد  
والوفيات يتخللها العوز والبطر، والمرض والعافية، والخيانة والامانة، والدعوى  
والتطير، والضلال والهدى . وازاء ما يفطره ويعذب سواه يظل الكون على  
على ما هو والخلائق والاشياء تتوثب فيه وتتولد كالمياه الرهوة الرجراجة  
وكل ما خال منها وشيكاً كان نهاية تعقبها بداية، وانقاضاً تستوي عليها الأسس  
واذ يزفر طالباً للحوادث تفسيراً يقال له « هذه هي الحياة ! » « ما هذا الا  
الحياة » « لا تكون الحياة الا كذا » نعم يا أبا الاهوال الساهي ، ازاء الهبة  
والحرمان ، والوفاء والغدر ، والبياض والسواد ، والفخار والمذلة ، والغلبة  
والانحدار ، ازاء كل مسرة وكل توجع التفسير واحد لا يتغير! اننا نقرر  
الحياة بالحياة، ونداوي داء الحياة بمصل الحياة ، ونهرب من الحياة لنجدنا والحياة  
وجهاً لوجه

\*\*\*

وانا صورة من ملايين الصور الحيوية نهضت اتفهم الحياة كما نهض جميع  
اولئك المساكين . وكما وقفت قديماً على طريق طيبة تلقي الاسئلة على العابرين  
وقفت أسأل أبناء السبيل عن معنى الحياة . فقال أحدهم « هي صدر الأم »  
فالتصقت بصدر أمي فاذا أنا منه في عش دفء وحرارة وحسن مناعة وامان،  
لا ترعني الرياح العاصفة ، والعود الداوية ، والبروق الملمعة والسيول المتدفقة.  
ومرّ يوم فضاك بي صدر امي وعدت الى موقعي أسأل « ما هي الحياة »  
فأجاب بحجب « هي الدين والتقوى »

فبادرت أمرّغ جبهتي على عتبة المذبح مخفية اداة التكشف والامانة تحت  
مزر كفن الاثواب ، وأقرع صدري مستغفرة عن آثام لم أرتكبها وذنوب لم تخطر  
على بالي فناجتني الصور الصامته في أطرها وهمست لي الصلبان بنكال الحرية  
والمسامير . فرّ يوم ، وصدر الهيكل الذي كان ليناً عطوفاً انقلب كالمرمر صلابه



وبرودة . وصارت الطقوس الدينية ترتيباً مسرحياً . وأرواح البخور التي كانت تنزل علي فيض الوحي والالهام غدت مزججة كعطور تنشرها ذوات الذوق الكثيف فعدت الى مكاني من السبيل سائلة « ماهي الحياة ؟ »

فقال صوت الغرور « وهل هي للفتاة غير التيه والدلال والتطرش ؟ » فضيت أساجل مرآتي فتعشقت صورتي فيها . ولم أكن أفارق تلك الصورة الا لأبحث عما يزينها ويحملها . وكان يبكيني مشهد الباكين . فأصبحت وقد تذوّقت لذة اللهو واللعب في نسل خيوط القلوب . ومرة يوم ، فأطل شبح الملل في عيني . فعدت أسأل أبناء السبيل « ماهي الحياة » فعلا صوت الحضارة في صفير البخار وجلبة الآلات وقال « هي الثروة والجاه العالمي وأبهة العمران »

فعدوت في سبيل هذه ، سوى أنني لم أصرف ساعة حتى تحجر كياني فعدت واليأس يسحقني أسأل « ماهي الحياة » سألت طويلاً وبكيت عزيزاً وقنطت حتى طلبت الموت فانبثقت صورة من غور عنائي . لم تتكلم وانما فهمت أن الحياة عندها . أرايت يا أبا الهول ، النجوم راقصة ؟ بلحظة تملل ثابت النواميس فرقصت جميع النجوم حوالي وخشعت الكائنات سجوداً لدى من هو شفيعها عند ذي الجبروت ، وتناقلت الموجودات صورة وجه واحد ، أو فخرت بنسخ خط من خطوطه وانتحال معنى من معانيه . فاستحدثت جميع الاشقة نورها من تألق عينيّن اثنتين ، وصارت زرقه الجو وبهجة الربيع وطلاوة الامواج العكاساً مبهماً ضئيلاً لتلك البسمة — البسمة البطيئة الرقيقة النادرة . واستدعتني الألوهية الى عرشها فوضعت يدي ويد الباري على لولب الوجود وقت وياه بادارة حركة الاكوان . فمرّ يوم فقمعت ثورة النجوم وقدمت خضوعها للنظام الأوحده ، وعادت لكل كائن أهميته في الخليقة : فرجعت أسأل العابرين « ماهي الحياة ؟ »

فقال صوت العلم الرزين « أنا الحياة لأنني أشرح الحياة » فألقيت بنفسي في الخضم الزاخر أعالج العلم المادي تارة والفلسفة الروحانية أخرى . كم من علم خلقنا ، أيها الملك ، لنبحث عما لا يعلم ، وكم من لغة أبدعنا



لنشرح ما لا يشرح ! فهدأني الجهابذة الى القوة التي يتم بها التفاعل الكوني بين الاجرام العاقلة وغير العاقلة فلا تتغلت من عناقها شمس ولا ذرة : الجاذبية فسألت وما هي هذه الجاذبية ، من رآها ، من سمعها ، من لمسها ؟ أهى وسيط يتنقل على نموذج الأثير ، أم هي سيال يتموج بنفسه مستقلا عن العناصر ؟ فأجابوا « ذاك سر الحياة وهو مجهول »

الحياة ! مجهول ! لفظتان تمثلان الانفصال والاتحاد جميعاً

هذه الرمال التي تفرش ربوعك بطنافس ناعمة ، منذ اربعة آلاف سنة ، يا حارس الصحراء ، منذ اربعة آلاف سنة ، والعلم يقلب الذرة الواحدة منها ويدبرها ، ويقسمها ويجزئ تقسيمها . لقد أوسعها بحثاً ، ونحراها درساً ، وقتلها تشريحاً وتحليلاً متمسكاً علّة تركيبها واللغز المتواري وراء محلها . فسارت جهوده من مجهول الى مجهول ومن استفهام الى استفهام ، وما زال مني أنا الطفلة الغريزة يسأل « وما هي الحياة ؟ ما هي الحياة ؟ »

وهكذا طال استجوابي للسبالة فضحك كثيرون ومضوا لأنهم لم يفهموا والقليلون الذين وقفوا وأجابوا أرهقوا في اللجاجة والحرقه والأسى

\*\*\*

يا وليد بابل أم السحر والتعاويد ، الى أي حقيقة رمز بك الرامزون ؟ لماذا جعلوا بين كفيك درجات خفية تقضي الى سرداب امتد وتاه في مجاهل الاهرام ؟ لماذا أودعوا قلبك مفتاح باب الغيب حيث كان العرافون يستمعون الآلهة الهواتف ولماذا لا يعرف موضع أصغرك الأجوف منك سوى شفتيك المطبقتين على كراة الأعقاب

تفتر شفتاك دون كشف وإعلان ، أتأكد هذه البسمة أم إيهام ؟ أشفاق على دماء المفاداة وقد أذيت فيها الأوحال ؟ أم لأن كل ما هو كائن أقلص من ظل حصاة حيال ما سيكون

هذا نيلك رضاب الطبيعة المحيي عُبد من منبعه الى مصبه لما يظهره من أريحية ووفاء ، أتدرك معنى احمراره الصيفي ومعنى خصبه ؟ أتفهم معنى شكل هندسي تجلت به اهرامك الخالدة ؟ أنت الذي نحتك الكلدان قبل ان يرسموا



دائرة البروج ، أتعلم هل كانت هذه الاهرام منائر للصحراء أم مدافن للقراعة  
أم حصون دفاع ، أم مستودعات كنوز ، أم مجتمع عشاق ، أم محفلاً يدين فيه  
أوزيريس موتاه ؟ أتعلم لماذا أدرجت أوراق البردي وأسرارها الهيروغليفية في  
الأكفان مع الموميات في قلب التوايت والنواويس ؟ أتعرف معنى سوسن الماء  
وزهرات عرائس النيل العائمة على النهر المقدس ؟ نحن الجهال نعلم ان جميع هذه  
رموز الى الحياة المتحركة فينا ، وأنت ألم يبق لك ما يكتسب ههنا لتحول عينيك  
وتسكت سكوتاً لا ينتهي ؟

أم أنت لا ترقب هناك سوى ما نرقب ؟ أترصد حركة الأصبع الموجهة  
الابرة المغنطة نحو الشمال تجر بعدها النظم الشمسية وهيئات الكواكب ؟ أم  
تستعرض مواكب الأنوار والظلمات ، وجيوش الثوابت والسيارات وحمايل  
الأمكنة والأزمدة ؟ أم أنت تتهجا اسم الحياة يخطه قلم النواميس بحروف  
الشموس والمذنبات والسدم والعوالم ؟ أم يذهلك تدفق الفيض الالهي من وراء  
حجب الوجود ليتكوّن اثيراً وهواءً وناراً وماءً وهيولى ؟

نحن مثلك ترقب ونتوقع ونتوقع وتترقب ، فهل تعلم ما هذا الذي ننتظره  
وتنتظره الآفاق المنحنية علينا ؟ لقد سُجِّنَا في حالك الظلمات تحترقها خيوط النور  
حيناً بعد حين ، فنهب نحسبها مقدمة لتحقيق الرجى وما هي غير السراب الخداع  
فيزيد الظلام حلكاً ونبث في الانتظار مترددين

لقد دفن نصفك في الرمال المغيرة على علاك وما زلت ترقب الشرق وتبتسم  
ونحن تغزونا الكوارث وتفتك بنا الدواهي فنظل تترقب ونرجو

أصحيح ان لغزك لغز الدهور أم خلقك الانسان رمزاً له كما خلق آلهته على  
صورته ومثاله ؟ لقد أعطاك من الثور الخاضعتين مكن الغزيرة الجوفية الرامزة  
الى السكوت ، ومن الأسد براثن التحمس والاستماتة في القتال الرامزة الى  
الجراة ، ومن النسر الجناحين الحلقين في بعيد المدى الرامزين الى المعرفة ، ومنه  
— من انسانيته — أعطاك الرأس مشيراً الى التبصر والارادة المدركة المتغلبة  
على الغريزة والانفعال والخيال . فكيف يحصر فيك جميع هذه النزعات التي  
تتجاذبه ولا يضيف ما بقي ؟ لماذا لا يكون ابتسامك الدائم صورة الأمل



المتجدد أبدأ فيه ؟ أليس أنه مثلك لأنك مثله ؟ أليس ان في أعماقه أبا هول  
شاخصاً أبدأ في السموات العلى كما ظفر بشروق ليث يتوقع بزوغ كوكب جديد  
وشروق شمس ساطعة ؟

## ٢ — عائشة عصمت تيمور

... أحصيت الأسباب العمومية لدرس الشاعرة ولكن لدي سبباً آخر، وهو  
مقابلة معنوية جرت لي معها منذ حدثني القصوى  
كان ذلك في تلك البلدة بفلسطين وقد بدا الحي متجلبلاً ببهجة الأعراس وبهائها  
لزوج ذلك الوجه المري . ونصب صيوان عظيم على سطح الدار الواسعة ليقام  
فيه مهرجان الفرح كل ليلة . فما يخيم الظلام إلا وتأخذ تعزف الآلات الشرقية  
تحت الخيمة الوضأة بتألق الانوار ومعالم الزينات، الغاصة بوجوده القوم  
وأعيانهم من تلك البلدة وضواحيها  
إذ ذاك يهرع أهل الحي إلى الشرفات والنوافذ وسطوح المنازل يتسمعون  
إلى آهات الطرب الشائعة في الفضاء حتى لتتهادى أصدائها نحو ما جاور من  
جبال الجليل . والأطفال مغتبطون بأن يحتضنهم صدر دافئ ويحميهم من أهوال  
الظلام ، فتنبئ منهم النفوس لتفهم أعجوبة الألحان  
كنت على ذلك في ليلة فاذا بصوت ينشد على نقرة العود :

كحل بعينيك أم صبغ من الرحمن جفن من السحر ام سحر من الاجفان  
خال بخديك أم صنع من الديان توهمت فكر الانام في الجفن والخلالات (١)  
تبارك الله ما أحلاك من انسان

سمعت وأصغيت ليس بنفسى كما كانت صغيرة وقتئذ بل بكل قواي السكامنة  
التي سينميها المستقبل وبكل ما في الأيام التي عشتها وسأعيشها من أمل ويأس  
وسعادة وشقاء . ولعلني استشعرت ببعض ما سأفهمه بعدئذ من نجوى الموسيقى

(١) كذا في الاصل . أما أنا فذكره كما كنت اسمعه « توهمت فكر الانام بالعين والحاجب »



الشرقية ... تقول ان الانسان يجهل كيف ولماذا ولد ، ولكنه يعلم انه يحتاج الى السعادة التي لم يفز بعد منها سوى بغيت موهوم . تقول للطفل والشاب انهما أكبر سناً مما يظنان ، وتقول للقوي الظافر انه ضعيف مدحور ، وتقول لكل أحد ان حياته كانت الى هذه الساعة خالية سخيفة قحطاء . تقول له ان في الدنيا أموراً لم يختبرها وان جهله لها فقر وضنك وذل وعبودية وموت سبق الموت . تقول الاجتهاد والجهاد عقيم النتائج لان العمر قصير وسريع العطب ، وان كل لحظة يجب ان « تعاش » بأكملها ليستخرج منها أقصى ما تكن . تقول ان القلب روي بالعبرات ينتظر اليد القادرة تضرب عليه لينفجر كصخرة موسى . . . . . واذ تنطلق الأصوات سابحة كالأجنحة في فردوس من الألحان ، ثم تصبح متفجعة منتحبة ، نائرة عاصفة تلج وتكادى تحيل ان الفزع قد جوف تحتها هاوية تترامي فيها الأصداء المرتعشة . فتعكف النفس على حاجتها ، ووحدتها وحيرتها بين هذه الهاوية وذلك الفردوس ، وتطلب التوازن والراحة في سحر الحب وذوب الحنان . . . . . ولكن العمر قصير وسريع العطب ، وكل ما فيه موسوم بوسمه . . . . . ولكن الحياة مراوغة في استقامتها ، وشحيحة في كرمها ، وكل ما فيها كريم شحيح مراوغ مستقيم

هذا بعض ما قاله لي فيما بعد شقيق الأوتار ، فهل فهمت منه عندئذ شيئاً ؟ لا أدري . ولكن كم ذا انتقش الظلام بالشاهد الخلافة لذكرك ذلك الشخص العجيب الذي لم يكن أحد يعلم هل كان جمال عينيه كحلاً أم صبيغاً من الرحمن ! ذاك الشخص الذي تاهت به أفكار الناس فتجمهرت لتتهف : تبارك الله ما أحلاك من التسلق لا التصورون أثر هذا الرسم في تخيلة صغيرة شديدة التيقظ ، وفي نفس ليتة ترتعش أمام مظاهر الفن والجمال حتى لقد تبكي لمرور سحابة زهية في الأفق الأزرق

\*\*\*

والظالمات سمعت هذا « الوال » بعدئذ من منشدين أصوليين وغواة يقبلون عليه إقبالهم على جميع الأدوار الصرية الشوقية . ولكن أكانوا يعلمون من هي شاعرتة



أرجح ان تلك كانت نشوتي الموسيقية الاولى فأبقت في أترأ كما هو اشارة من روح التيمورية تنبهي. وما تبينت تلك الاشارة الا عند مطالعة ديوانها والاهتداء الى ذلك «الموَال» فيه. فأدركت انها حدثني منذ زمن بعيد تلك الروح التي غاصت نفثاتها الحزينة الطروبة في أرواح المنشدين خبئت على أوتارهم أَلحاناً، وانطلقت على أمواج الهواء فتأ وتغريداً وابداعاً. وهكذا تلك المرأة التي وقعت زفرتها في وحدة خدرها وراء الحجاب، صار الشجن والطرب منها فعلاً تتناقله أجواء الاقطار وتتأثر به ليالي الافراح في نازح الديار

كذلك برقت التيمورية في تلك الظلمة وكان ذلك النور منها رمزاً لنور آخر خطير. ان عائشة عصمت ظهرت حين كانت المرأة في ليل دامس من الجهل خفاءت بارقاً يبشر بحاضر المرأة المصرية ومستقبلها

### ٣ - كولبوس

هو ذا الرجل الذي يريد تحقيق ما لم يسبقه اليه أحد. للناس جميعاً أطلع وما رب: فهذا يسعى الى الثروة، وذاك يشوق الى الحب، وذلك يرغب في السؤدد والتفوق. القائد يبغى فتح المدينة ظافراً، والملك يسره التفاف الرعايا حول أريكته، والعالم يتفرغ لمعالجة الذرات والعناصر، والمكتشف يودُّ استجلاء سر من أسرار الطبيعة. أما هذا الرجل فقد خلق فوق كل غاز وكل عظيم لأنه انما يريد ان يوجد عالماً جديداً

هو فقير فارغ اليد، يُنظر اليه بالريبة والتحذر لأنه غريب في قومه وعشيرته. هو شاذ مجنون لا يشبه الآخرين. ما ذكر الا ارتسمت على الشفاه ابتسامة التأفف والاستخفاف فرجه السافلون بأقذار سفالتهم، ولوَّث اسمه الحاملون بأوحال خمولهم

أما أنت ذو الفكر النبيل والنظر الثاقب، فتقدم تجد ان هذا الرجل ليس له من بعض المدمين الوقاحة والتطاول، ولا من الآخرين المذلة والمسكنة. في ذلك الوجه تدرك إدراكاً مبهماً معنى العظمة والعبقرية. وعلى تلك الجبهة ترى



وسم المجد وقد حاذته علامة الحزن العميق الذي يرافق المجد في الغالب . وفي تينك العينين تبصر تعاقب التثبت والاستقصاء بنظرة تتغلغل فيك وقد توحد عندها غور الهاوية وشروق الوحي والرؤيا . ثم ينسى هذا الرجل ما يحيط به من الناس والأشياء ناظراً الى عمود النور السائر أمامه في الفضاء نحو أبعاد قصية نحو شواطئ مجهولة ، نحو خراب سيصير بهيمته عمراً مجيداً

هذا الرجل هو كولمبس الذي قام يحقق ما لم تتخيله كبار العقول على مرور أربعين قرناً . هذا الذي لا يبت له لم تعد تسعة القارات الثلاث . والبلاد والرياض والروج التي فئت فيها ملايين الآجال دهرأ بعد دهر ، وتكيفت في رحابها الحضارات والأديان والأنظمة شكلاً بعد شكل — قد ضاقت بهذا الذي لا حسب له ولا نسب . فاستعمل فضلة من ذكائه للتقرب الى أرباب بلاد أخرى فعظفت عليه ايزابلا الاسبانية ملكة قشتالة وحبته بسفن ثلاث كاملة التجارة جاهزة المعدات فضى نحو ذلك المجهول المنشود

\*\*\*

نشر كولمبس شراعه على البحار بيد انه ما خطا الخطوة الأولى وراء عمود النور الا وتكشفت له الأخطار والمصاعب ، قبله وصل الصينيون الى الحد الأقصى حيث تكاد تتقابل البراكين الاسيوية وبراكين اميركا الجنوبية . فوقفوا هناك ثم انقلبوا راجعين قبله . كاد النرويجيون ينتهون الى الجهة الشرقية من أميركا الشمالية فوقفوا هناك ثم انقلبوا راجعين . قبله وصل العرب الى سويداء الصحارى المائية فأحجموا أمام بحر الظلمات ثم انقلبوا راجعين . أما هو الفرد الواحد فتابع المسير عنيداً . انعقدت له الأيام على صفحة الماء أسابيع وتكوّنت الأسابيع شهوراً دون ان تقع عيناه على أنس الشواطئ . فتابع المسير عنيداً . الأمواه الكئيبة تحدى به من كل جانب ، والوحشة الفيحاء توسع الآفاق حواليه ، وبحارة السفن يشكون ويتمردون ، وتقاد الزاد يهدد بالموت جوعاً ويشير بالعودة . ولكن عزيمة الصنديد لم تنزعزع ، وظلت بصيرته ترى ما كلت دونه الأبصار وفي وسط الغم واليأس بسمت يوماً أرض الميعاد وراء بكر الشواطئ وترأى العالم الجديد للعالم القديم الآيس المترقب



## ٤ - سرر وحب

حكمة اليوم في مذكري تقول ان الدعة أقدر من الحدة ، كما ان أعظم الدماء  
يكون أحياناً في البساطة

\*\*\*

كيف أشفق على الذي يبدد ألمه في الشكاية والتظلم فلا يبقى منه ما يستدعي  
الشفقة لكل شفتي تتجه اليك أنت الذي لا تشكو مع ان أمك الصامت لا حد له  
ولا نهاية

\*\*\*

هل من سبيل الى حل عقدة تستوجب القطع ، وكلما لمستها علمت ان خيوطها  
من نياط قلبك ؟

\*\*\*

من خسارة النفاق أنه يتكلم بلهجة تحاذي الصدق ويتلون بلون الواقع المحسوس

\*\*\*

الآلم الكبير تطهير كبير

\*\*\*

الاختبار والعلم يصقلان العبقرية ولكن لا يقومان مقامها

\*\*\*

الآلم محسن كبير لانه يجردنا من الغرور والدعوى

\*\*\*

سؤال صغير كنت أعيده على نفسي يوم كنت أستمع على مقاعد المدرسة ،  
للكاهن الصالح الذي كان يشرح لنا التعليم المسيحي ، وما زلت اردده اليوم بلهجة  
أشد وحرقة أعمق : لماذا ... لماذا يخلق الله الأشرار ؟

\*\*\*

يجذب بعضهم ان السدود التي يجتهدون كثيراً في اقامتها تكفي لإطفاء نور  
الشمس وتضييق رحاب الفلك

\*\*\*

جبار هو ذاك الذي يكون شعاره في الحياة : « سأ تألم ولكنني لن أغلب »





---

## الحرب في سنتين

دنكرک : نقطة تحول في الحرب — معركة بريطانيا —

الى البلقان وروسيا — الحرب البحرية والاقتصادية

المدد الاميركي — كيف تنتهي الحرب

---

## النظام الجديد

في اوروبا من الوجهة الاقتصادية النازية



# الحرب في سنتين

في الوسع تلخيص حوادث الحرب العالمية الثانية في ختام السنتين الاوليين وبدء الثالثة، في ان المانيا، على حسن تأهبها لها من سنوات واضمارها الاعتداء كسبت معارك كثيرة ولكنها لم تكسب الحرب، ولعلمها ابعاد عن كسبها في مستهل سنتها الثالثة منها في اواخر سنتها الاولى، وان بريطانيا وحلفاءها على قلة تأهبها للحرب خسرت معارك كثيرة ولكنها لم تخسر الحرب وهي مع حلفائها ومؤيديها أدنى الآن الى كسبها منها في أي وقت مضى خلال السنتين المنصرمتين كانت الآلة الحربية الالمانية متأهبة للقتال بعد سنوات من الانتاج الصناعي الحربي السكلي وتوسيع نطاق الجيش وسلاح الطيران، وتدريب الفرق المننقاة على أساليب الحرب الميكانيكية، ومعظم هذه الاساليب جديد مبتكر فكان ينطوي بحكم مافيه من الجدة والابتكار على عنصر المفاجأة، العظيم الشأن في الحرب، من قديم الزمان الى حديثه. فاجتاحت بولونيا في سبعة عشر يوماً والدنمارك والنرويج في نحو ذلك وهولندة وبلجيكا واكسمبرج وشمال فرنسا في سبعة وثلاثين يوماً

فلما سادت فرنسا وعقدت الهدنة مع المانيا وايطاليا، بدا لكثيرين من متبعي الحوادث ان المانيا باتت قاب قوسين او أدنى من كسب الحرب. ولا سيما عندما علم ان بريطانيا خسرت معظم معداتها الحربية الحديثة في سهول فلاندرز عندما أجلت الجيش البريطاني عن ديكيرك. فكان هذا اليقين، باعثاً رئيسياً على دخول ايطاليا الحرب (١٠ يونيو سنة ١٩٤٠ وكانت معركة فرنسا قد أشرفت على ختامها وعرفت نتيجةها العسكرية المحتومة) لتظهر بنصيبها من الاسلاب، كما كان باعثاً على امتناع قادة فرنسا، بعد سقوط وزارة رينو عن المضي في المقاومة في افريقية وسائر الامبراطورية وهم لو فعلوا لكان لفرنسا شأن آخر أعظم وأكرم وأجدر بتاريخها وتقاليدها في هذا الصراع

﴿ دنكيرك : نقطة تحول في الحرب ﴾ غير ان الذين نفذوا الى سر الجلاء عن دنكيرك ادركوا بركنهم ودقة نظرهم ان هذا الجلاء لم يتم لانه اتفق ان كان البحر رهواً في أيام الجلاء (اوائل يونيو ١٩٤٠) بل لان سلاح الطيران البريطاني—وبخاصة قيادة المطاردات— استطاع ان يثبت سيادته على مضيق دووفر فتمكنت مئات السفن البريطانية—من سفن الحرب الى زوارق النزهة والصيد—من أن تنقل ما يزيد على ثلاثمائة الف جندي من الساحل الاوربي الى الساحل البريطاني. ولو لم تفرض المطاردات البريطانية من طراز هاريكاين وسبتفير سيطرتها على تلك الشقة الضيقة من الماء لكانت السيطرة عليها لسلاح الطيران الالمانى ولما

(١) نشر الجانب الاكبر من هذا الفصل في مجلة « الصور » ٤ سبتمبر في مقال لرئيس تحرير المقتطف وقد أعدنا نشره بعد ما أضفنا اليه فقرات جديدة ينظمها اللام تلمية اطاب طائفة من اصداقاء المتعطف



أجدى سكون البحر في نقل الجيش البريطاني ولأتيح للقاذفات والمنقضات الألمانية ان تفرق وتدمر وتعطب جميع السفن التي تحاول ذلك او معظمها

فلما تم الجلاء أدرك فريق من الخبراء العسكريين ولاسيما الذين يعملون من شأن سلاح الطيران في الحرب الحديثة ان غزو بريطانيا بات غير محتمل في سنة ١٩٤٠ واذا حاوله الالمان باءوا بالخيبة الذريعة . لانهم اذا عجزوا عن الفوز بالسيطرة الجوية فوق مضيق دوفر في اثناء اجلاء جيش مقهور ، فالغالب انهم يعجزون كذلك عن الفوز بها لحماية سفن الغزو . فيتولى البريطانيون تدميرها بالاشتراك بين سلاحهم الجوي وأسطولهم البحري المتفوق الواقف بالمرصاد

﴿ معركة بريطانيا ﴾ ولكن الالمان ، لم يعبأوا على ما يلوح بهذه العبرة ، اعتزاً منهم بقوتهم ، وثقة بآسهم ، وثمة من الأدلة ما يشير الى اقدمهم على الخروج من ثغور المانش لغزو بريطانيا فلم يعد من الحملة الا بعض من أقدم عليها وكان معظم من عاد يحمل آثاراً من عواقب اقدامه كان ذلك فيما أظن حوالى منتصف سبتمبر سنة ١٩٤٠ ، وكان الالمان قدمهوا له بغارات جوية مهارية واسعة النطاق على سواحل بريطانيا الجنوبية خلال الأسابيع الثلاثة الأخيرة من اغسطس ، ثم على لندن في أثناء شهر سبتمبر ، ولكن سلاحهم الجوي مني بخسارة فادحة في الرجال والطائرات حتى ليقدر ما خسروه في هذه الغارات في شهري اغسطس وسبتمبر بألني طائرة وستة آلاف طيار ومساعد طيار ، فكفوا عن هذه المحاولة في آخر سبتمبر وأوائل اكتوبر وخسرت المانيا « معركة بريطانيا » او تلك الرحلة من « معركة بريطانيا » ، وصح في رجال المطاردات البريطانية — واليهيهم يعود الفخر الأول في هذا الظفر البريطاني — قول تشرشل المشهور

Never in the history of mankind have so many owed so much to so few.

والى القارئ بعض ما جاء في التاريخ الرسمي لقيادة « القاذفات البريطانية » عن نصيبها في احباط حملة الغزو قبل قيامها : —

وقد شاع مرة وخاصة في أكتوبر ونوفمبر سنة ١٩٤٠ في اميركا وبر اوربا ان عمارات سفن الغزو قامت فعلاً وان قاذفاتنا تغلبت عليها في عرض البحر وقيل ان تاريخ قيامها كان في ١٥ سبتمبر . ولا ريب في ان موانئ المانش كانت محتشدة حوالى هذا التاريخ بعدد وافر من الصنادل والسفن وان سفناً كثيرة كانت تسلك الاقنية الى الداخل . وجميع هذه السفن قذفت قذفاً قوياً بقنابل الطائرات . ويبدو مرجحاً ان الغرض من هذه السفن المحشودة كان اشتراكها في المرحلة الثانية من الهجوم علينا . وهو هجوم كانت مرحلته الاولى السعي الى تدمير قواعدنا البحرية والجوية وكذلك اسراب سلاح مطارداتنا والفوز من هذا الطريق بسيادة



الجو . وقد شوهدت الصنادل والسفن الأخرى متجهة الى مواقعها في مستهل هجوم جوي وذلك اما لتقلع في الدقيقة المعينة في يوم محدد واما لتكون متأهبة بعد انذار قصير الاجل لاستغلال نجاح ما تصيبه الطائرات

أما عدد ما دمر من الصنادل والسفن الصغيرة وعدد ما قتل أو جرح من الرجال فليس له شأن حاسم مباشر الآن . ولكن حقيقة واحدة تبرز واضحة دون الحقائق الأخرى . وهي ان الغزوة لم تتم في الخريف الماضي . وعلى الرغم من أعمال التأهب العظيمة التي جرت وتمارين الغزو العديدة التي توالى مدى اسابيع على سواحل غرب اوربا من اركاشون الى دن هلدز ، ومع ان صغار الصبغة كانوا يتبعون الجنود الألمان الى ارضة الموانئ الهولندية وهم يقلدون بحركة ايديهم حركتها في اثناء السباحة ويخرجون من أصواتهم أصوات الغرقى ، ومع ان كل القارة الاوربية وقفت حابسة تنفسها منتظرة انباء خروج هذه الأرمادا — ارمادة القرن العشرين —

الى البحر — على الرغم من كل هذا لم تبد اشارة من القيادة الالمانية العليا ولم يشن هجوم ما . ولم تكن لتجرؤ على هذا ما دمنا نملك زمام البحر والهواء . وبتوالي الأيام طالت الليالي واشتدت غارات القذف على هذه المواقع وليس هناك ريب في ان هذه الغارات بدأت تؤثر في نفوس الجنود الألمان الذين أعدوا لركوب هذه الصنادل وازدادت الموانع التي تحول دون استعمال الموانئ لحشد الجيش الغازي فتعذر تحريك السفن الى مواقعها تحت وابل القنابل وفي حالة الاِظلام التي تقتضيها الغارات . وصعب تسيير الجنود الى متن السفن . وكان غرضنا أن ننشئ هناك حالة من القوضى ولا ريب في أننا أصبنا الغرض وما فتئت خطتنا ضرب العدو في موانئه قبل ان ييجر فلما كف سلاح الطيران الالمانى عن الغارات النهارية الواسعة النطاق في أواخر سبتمبر

لفداحة ما أصيب به من الخسارة ولم يجزه عن الفوز بالسيادة الجوية فوق مياه المانش وسواحل انجلترا الجنوبية تمهيداً للغزو ، انقلب الى الغارات الليلية على مدائن انجلترا ، بقية ادهاب الشعب وتدمير مصادره . فلم يفز من الأول بطائل بشهادة جميع المراقبين المحايدين وما أدركه من الثاني لم يؤثر في تعاطف الانتاج الحربى البريطانى الا تأثيراً مؤقتاً . واستمرت الغارات الليلية الالمانية على مدائن بريطانيا مدى أشهر الشتاء الى الربيع عند ما بدأت المطاردات الليلية البريطانية نشاطها الفعال في مقاومة المغيرات الليلية وتحول سلاح الطيران الالمانى الى البلقان والجنوب ثم الى روسيا

✽ الى البلقان وروسيا ✽ وأدرك هتلر وهيئة أركان الحرب الالمانية ان اخضاع بريطانيا في



عقر دارها بالنزو والغارات الجوية بعيد المنال فوضعت الخطط لاتجاهين حربيين في وقت واحد احدهما تشديد الحرب البحرية بواسطة الغواصات والقاذفات البعيدة المدى والمغيرات السطحية على خطوط الملاحة في المحيط الاطلسي والثاني الهبوط بحيشه الى الملقال والتطرق منه اما الى الشرق الاوسط واما الى روسيا. ولكن المقاومة العنيفة البالسة في جبال اليونان ثم في جزيرة كريت اتاحت للقوات البريطانية والمخالفة فرصة لاختاد فتنة العراق وتبديد خطرها وانتزاع سوريا من برائن صنائع المانيا النيشيين . وكان الجيش البريطاني قد صنف الامبراطورية الايطالية في شرق افريقية فتحولت الصورة الحربية في الشرق الاوسط تحولا لا يغري كثيراً بمحاولة تنفيذ الخطة الالمانية فيه . ولعل هيئة اركان الحرب الالمانية ، رأت على كل حال ، ان الغامرة في تنفيذ خطة الشرق الاوسط — لو اتاحت لها العوامل المؤاتية — تعرضها لخطر عظيم ما دام المارد الروسي منتصباً في الشمال الشرقي على يسارها يعد العدة ليوم الحساب . ولعلها ادركت كذلك ان العجز عن قهر بريطانيا في النصف الثاني من سنة ١٩٤٠ وعن جرحها جرحاً بالغاً في النصف الأول من سنة ١٩٤١ يعني حرباً طويلة وألمانيا لا تستطيع ان تواجه حرباً طويلة الا اذا استوثقت من موارد اقتصادية وافرة تجدها في اراضي الاتحاد السوفياتي ولا تجد طائفة كبيرة منها في بلدان اوربا التي احتلتها فكان في هذا الادراك المزدوج مهد الاعتداء الالمانى على روسيا

\* \* \*

هذه الحرب حرب كلية تندمج في خططها الواسعة شؤون السياسة بمقتائق الاقتصاد والصناعة بقوة الجيوش والاساطيل وأسلحة الجو ويشترك فيها المجند وغير المجند الرجل والمرأة على السواء . واذا كانت المانيا قد احرزت حتى الآن ظفراً عظيماً في معارك متعددة وأخضعت معظم القارة الاوربية لسلطانها فن مصير الحرب الروسية لا يزال معلقاً في ميزان القدر وعلى الرغم من احتلال اراض روسية شاسعة لم يفز الجيش الالمانى حتى الآن بتحقيق هدف واحد من أهدافه الرئيسية في روسيا ، كاحتلال حواضرها الكبيرة ، أو كسر جيشها وفل سلاحه أو تدمير كيائها السياسي أو استغلال مواردها المبتغاة

﴿ الحرب البحرية والاقتصادية ﴾ — فاذا التفقنا من حرب البر ، الى حرب البحر وحرب الاقتصاد ، كانت لنا ناحية أخرى من الحرب ، كفة المانيا مرجوحة فيها على العموم . فقد خسرت جانباً كبيراً من اسطولها البحري ( خسرت بارجتين هما الجراف فون شي والبسمارك ، وعطبت البارجتان شارنهورست وجنيسنو وخسرت طائفة من الطرادات والمدمرات في معركة النرويج وغيره . أما الغواصات فلا يعلم على وجه التحقيق عدد ما خسرتها منها لأن السكتان يحيط هذه الناحية من الحرب البحرية ) ، واكتسحت سفنها التجارية من بحار الأرض السبعة



ولا يسير ما يسير منها في مياه أوربا الساحلية الأ وهو معرض للخطر . وقد كانت خسارة حليفها إيطاليا في البحر أفدح ولا سيما في تارتو ( ١١ نوفمبر ١٩٤٠ ) وماتابان ( ٢٧ مارس ١٩٤١ ) واكتسحت سفنها هي الأخرى من بحار الأرض السبعة ، ولا تسير في البحر المتوسط — بحرنا على قول السنيور موسولينى — حتى ولا في الشقة الضيقة بين صقلية وشمال افريقية ، الأ والطائرات والسفن الحربية البريطانية لها بالمرصاد . وقطع كل وارد تقريباً من وراء البحر عن ألمانيا وإيطاليا والدول الخاضعة لها

وخسارة بريطانيا البحرية لم تكن يسيرة . فقد خسرت من بوارجها « الرويال اوك » التي ضربتها غواصة ألمانية في قاعدة سكابافلو ( نوفمبر ١٩٣٩ ) و « هود » ( في ٢٤ مايو ١٩٤١ ) وطائفة من طراداتها ومدمراتها وغواصاتها . ولكن الأسطول البريطاني ما فتىء سيد البحار ، وقد عوضت دور الصناعة البحرية البريطانية جانباً كبيراً مما خسره الأسطول وما تم صنعه من البوارج الجديدة يفوق ما خسرتة عدداً وتقريباً وقوة ( ثلاث بوارج هي جورج الخامس والبرنس أوف ويلز والدوق أوف يورك وقد تكون الرابعة والخامسة من هذه الطبقة على وشك الانضمام الى الأسطول ) . وفي كل معركة بحرية اشتبكت فيها القوات البحرية البريطانية كان الفوز فيها للبريطانيين ، وفي معركة ماتابان لم يחדش طلاء إحدى السفن الحربية البريطانية التي اشتركت فيها !

غير ان آية القوة البحرية لا تتجلى في المعارك التي تستوقف الأنظار وحسب . ولكنها تتجلى كذلك في العمل الصامت الذي تنهض به مئات من السفن الحربية الصغيرة ، مدمرات تحرس القوافل ، وكاسحات تكسح الألغام وبازرات تبذرهما ، وفي ألوف من سفن تنقل الزاد والعتاد ، وأخرى تحرك الجيوش ، وهذا عمل دائم اضطلع به الأسطول البريطاني وأساطيل حلفاء بريطانيا الحربية والتجارية على أوفى وجهه ، وما قوة الجيوش البريطانية في الشرق الأوسط ومنطقة سنغافورة الا دليلاً قائماً على صحة هذا القول

نعم بلغت خسارة بريطانيا وحلفائها بضعة ملايين من الاطنان في السفن التجارية ، ولكن خطر اللغم الممغنط أحبط ومعركة المحيط الاطلسي لم تسفر حتى الآن عن قطع « خط الحياة » بين اميركا وبريطانيا بل أجمع الخبراء في العهد الأخير على ان كفة بريطانيا فيها بدأت تميل الى الرجحان . واجتماع تشرشل بروزفلت في « مكان ما » بالمحيط الاطلسي في اغسطس الماضي برهان قاطع على من يسود البحار . وفي كل يوم يدخل المرافق البريطانية ويخرج منها مئات من السفن الموسوقة

✻ المدد الاميركي ✻ هذه الحرب حرب كلية ، قاعدتها العريضة هي الموارد الاقتصادية والقدرة الصناعية . ولبريطانيا وحلفائها أن تعتمد على موارد الولايات المتحدة الاميركية



وقدرتها الصناعية ، اعتمادها على موارد جامعة الامم البريطانية وقدرتها الصناعية . والانتاج في جميع هذه البلدان — ولا سيما الولايات المتحدة الاميركية — لم يبلغ حده الأقصى بعد ، بينما الانتاج في المانيا والبلدان المحتلة التي تنتج لها بلغ حده الأقصى أو كاد

فستقبل هذه الحرب ، محدود بعوامل شتى ، جميعها تفعل فعلها ضد المانيا ، وفي مقدمة هذه العوامل ، اولاً — مد الانتاج الحربي الآخذ في الارتفاع في بريطانيا والولايات المتحدة ومن يواليهما . وثانياً — الاضطراب النفسي في صدور الشعوب الاوربية المقهورة ، وعدم استئناسها الى الذل والحرمان . وثالثاً — تفتح العيون والنفوس على أن النظام الذي يريد هتلر ان يقيمه في اوربا — بله في العالم — ينطوي على انكار جميع القيم الروحية في العمران التي مبني بها الوحي على الرسل الكرام وتعني بها الشعراء وفصلها الفلاسفة . وهذا التفتح من شأنه ان يذكي البرم والقلق في نفوس الشعوب المغلوبة على أمرها وتعزيز عزم الدول التي ما فتئت حرة على مناصرة الدول والشعوب التي تناهض النازية و « نظامها الجديد »

﴿ كيف تنتهي الحرب ﴾ أما كيف تنتهي الحرب وما السبيل العملي الى ذلك ومتى ، فمن يدري ؟ ولكننا نستطيع ان نتصور ما يأتي : — ١ — استنزاف جانب كبير من قوة المانيا الحربية في بطاح روسيا اذا مضت روسيا في مقاومتها الباسلة العنيدة وكذلك بفعل الحصر البحري وغارات القاذفات البريطانية على مصانع المانيا ومواصلاتها ٢ — تقة الشعوب المغلوبة المحرومة — ومنها جانب من الشعب الالمانى نفسه — حتى تصبح كالموجة الطاغية ٣ — ارتفاع مد الانتاج الحربي في بلدان جامعة الامم البريطانية والولايات المتحدة الاميركية ارتفاعاً يمكن القوات الديمقراطية المسلحة من التفوق تفوقاً حاسماً على القوات النازية المسلحة ٤ — فوز سلاح الطيران البريطاني بسيادة تامة فوق غرب اوربا تمهد لقوات الحلفاء البرية طريق غزوة اوربا مستعينة بالشعوب الناقمة المنتظرة وصول منقذها

ومن الجائز — في رأي بعضهم — ألا تقوم ضرورة لغزو أوربا بالجيش ، على شرط انشاء سلاح جوي للحلفاء ، يستطيع امتلاك ناصية الجو في جميع النواحي في غرب أوربا وشرقها وجنوبها الشرقي . واذا كثرت فيه الطائرات التي تملك بالدبابات — مثل الطائرة الاميركية « ايراكوبرا » — تغلبت على الدبابات الالمانية بغير منازلتها على سطح الارض . وهناك فريق آخر يرى أنه لا بد من التفوق على الدبابات الالمانية بدبابات أكثر منها وأقوى وهؤلاء لا يرون مناصاً من غزو القارة الأوربية عندما تجتمع الوسائل الكافية لذلك والتفوق الميكانيكي في الناحيتين متاح للحلفاء بمعونة الولايات المتحدة

لقد كانت بريطانيا وحلفاؤها تحارب حتى الآن للمحافظة على كيانها وفي المرحلة التالية من الحرب ستحارب لكي تفوز بالنصر الحاسم



## النظام الجديد

في أوروبا من الوجهة الاقتصادية

عند ما يتحدث أقطاب النازي عن النظام الجديد في أوروبا بغية إقناع العالم بمحاسنه ، يشيرون الى « التعاون الحريين الدول الأوروبية في سبيل رخاء جميع الناس » . ولكنهم في الواقع يتأهبون لإنشاء نظام ، تخضع فيه القارة الأوروبية لألمانيا ، والقاعدة في خطتهم هي تنظيم أوروبا على أساس لا يتيح لدولة ما من الدول المغلوبة رفع رأسها ثانية او الثورة عليهم . وقصدهم ان يسيطروا فوق هذه الدول ظل « الاكتفاء » بحيث تصبح أوروبا مستغنية عن استيراد الخامات من سائر العالم ولا سيما من الولايات المتحدة وأميركا اللاتينية ، وان ينقلوا ملايين من البشر لإنشاء صناعات في مواقع لم تكن فيها صناعة ما قبلها ، وان يدمروا الى الأبد الحياة الصناعية في أماكن ما فتئت الصناعة مزدهرة فيها منذ قرون . وقد عكف خبراء النازي منذ نشبت الحرب ، على وضع الخطط المفصلة لهذا النظام . وقد تم وضعها الآن ، وجوانب منها طبقت فعلاً

قد يبدو لقراء الصحف ان طرد السكان الفرنسيين من الألزاس واللورين ، انما هو فصل آخر من فصول النزاع الألماني الفرنسي على هاتين الولايتين . ولكن الألمان جروا على مثل هذا في هولندا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا . فقد رحلوا السكان من مقاطعات كثيرة وأحلوا الألمان محلهم . ويقدر عدد الذين رحلوا بالقوة بنحو تسعة ملايين من السكان ولا يزال عشرة ملايين آخرين من السكان في انتظار مثل هذا المصير

وليس هذا العمل وليد الشعور الوطني المجتاح وحسب . لأن الغرض الرئيسي هو تحويل صناعات الحديد والكيمياء في أوروبا الى صناعات ألمانية . ولا يخفى ان الصناعات الأوروبية الكبيرة تكاد تكون محصورة في منطقتين ضيقتين ، احدهما على محاذاة الرين ، والثانية على محاذاة سلسلة الجبال التي تفصل ألمانيا عن بوهيميا . وقد كانت نصف مساحة هاتين المنطقتين قبل الحرب الخاطفة في أوروبا داخل الحدود الألمانية . ولكن هتلر ينوي الآن أن يجعلهما منطقتين ألمانيتين من الناحيتين السياسية والعنصرية في آن

وتحويل هاتين المنطقتين الى منطقتين ألمانيتين قلباً وقالباً ، هو إحدى الوسائل التي ينوئ بها الألمان للحيلولة في المستقبل دون ثورة الأمم المغلوبة ، لأن قصد النازي ان ينزعوا سلاح هذه الأمم نزعاً دائماً . وليس هناك من هو أدري من أقطاب النازي بأن الحروب



الحديثة ، تُشَنُّ في المصانع وراء خطوط القتال ، ولذلك لن يسمح لأحد غير الألمان بالاستغلال بالصناعات الأساسية

ولذلك ستحتكر ألمانيا صناعة الطائرات والدبابات وغيرها من وسائل الحرب الميكانيكية . وقد وصل مع الفصائل الألمانية التي احتلت فرنسا طوائف من المهندسين ، أكبوا من ساعتهم على وضع كشف دقيقة بما تحتوي عليه مصانع الطائرات الفرنسية من آلات ، ثم نقلت تَوًّا الى ألمانيا . ومصانع ستروين في باريس ، تنقل الآن الى متر في ولاية اللورين التي ضمها ألمانيا اليها ضمًّا نهائيًّا . وإذا كان من المتعذر على الألمان ان يحلوا محل سكان منطقة ما ، فالخطة الموضوعية تقضي بتدمير مصانع تلك المنطقة . فالمصانع الكيميائية الفرنسية والهولندية ، مقضيُّ عليها بالخراب والدمار ، اذا لم تكن هي ومصانع الصلب في منطقة واحدة . وعلى هذا النمط قرر مصير صناعة السيارات في بلجيكا ودور السفانة المشهورة من قديم الزمان في روتردام وانفرس وبرست وصناعة الادوات الكهربائية في هولندا . وقد روت الجريدة السويسرية « نوي زورخر تسيتونج » — وهي من الصحف التي يعتمد عليها — ان معظم الآلات في مصانع فيلبس الهولندية المشهورة بصناعة طائفة من الأدوات الكهربائية ، قد نقلت من هولندا الى ألمانيا

وستختص ألمانيا دون غيرها بحسب هذه الخطط ، في صنع الصلب والمحركات والسيارات وفي السيطرة على المصانع الكيميائية ومعامل البحث العلمي الصناعي . وفي ذلك تقول صحيفة « شتارتس كور » — وهي لسان حال الحرس الهتلري — « اننا لا نريد ان يبقى اثر ما لتقاليد الصناعة الثقيلة والهندسة الميكانيكية ، والبحث الكيميائي ، خارج ألمانيا »

وتنوي ألمانيا ان تشدَّ أزر احتكارها لهذه الصناعات بالسيطرة على نظام الاعتمادات المالية في اوربا . ومن بضعة اسابيع أوردت جريدة « نيو يورك تيمس » بيانًا رسميًا بأن الحكومة النازية انشأت شركة محتكرة لجميع اعمال « إعادة التأمين » reinsurance في قارة اوربا . ومع ان هذا النبأ نُشر في مكان لا يستوقف الانظار من صفحة ثانوية في الجريدة المذكورة ، الا ان الخبر نفسه يوازى على الاقل خبر غزو ألمانيا لبلد اوربي آخر . لان انشاء هذا الاحتكار مكن ألمانيا من الاستيلاء دفعة واحدة على مقدار يتفاوت بين ربع الاموال الاوربية الوفرة وثلثها ، لتستعمل المال في سبيل تحقيق اغراضها السياسية . وهذا العمل يمكن للسيطرة الألمانية على الدولة المغلوبة ، اذ يتعذر على هذه الدول ان ترفع النير الألماني عنها بغير أن تؤذي الوفا من الناس الذين ثَمروا مبالغ يسيرة مما وفروه وكذلك تحوّل منشأة قديمة مفيدة اداة لتثبيت الاستعباد النازي ومع هذا لا يعتبر النازي ما تقدم وسائل كافية لتحقيق اغراضهم . انهم لا يعتقدون ان



أوروبا تبقى خاضعة لهم ، ما دامت أوروبا تعتمد في جانب من موارد طعامها وخامات صناعتها على الاستيراد. وهتلر مولود في قلب أوروبا فهو في تفكيره بعيد عن الاهتمام بشؤون البحر، ولا يرى أن ألمانيا تستطيع أن تنافس الدول الأخرى في القوة البحرية كما فعل القيصر غليوم الثاني . ولذلك يجب أن تنظم القارة الأوروبية على أساس يمكنها من إعالة نفسها بنفسها، وتوفير خامات الصناعة اللازمة لها في بلدان تستطيع ألمانيا أن تحميها بجيشها وسلاحها الجوي ( وهذا يفسر اندفاعه صوب أوكرانيا) . فانشاء أوروبا المكثفة المستغنية عن العالم ، هو أكبر مطامح هتلر في أوروبا . وهو يفوق اعظم ما طمح اليه نبوليون وطمح فيه

وفي وسع شرق أوروبا أن ينتج كل ما تحتاج اليه ألمانيا تقريباً من الخنطة والنحاس وجانباً كبيراً من الزيت الذي تحتاج اليه ألمانيا وآلتها الحربية . ومنزلته المنتظرة في النظام النازي ان يندو في المستقبل المنتج الأول للبضائع الصناعية الرخيصة التي تحتاج اليها جماهير الناس في البلدان التي كانت تعرف باسم بولونيا وسلوفاكيا ورومانيا وهنغاريا ويوجسلافيا وبلغاريا يقطن نحو مائة مليون من الناس وخمسة وثمانون مليون من هؤلاء يشتغلون بالزراعة ولكن الأرض التي في متناولهم لا تكفي ، وتربة جانب غير يسير منها لا يصلح للانتاج الوافر . واذن فيجب أن يرحل نصف السكان أو أن يفسح لهم مجال لتشغيلهم بالصناعة ان الفلاح البلقاني ، معوّد العمل ساعات طويلة ، وقد ألف مستوى من العيش ، ليس أعلى كثيراً عن مستوى « الكولي » الصيني . وهي ذكي فهم ولذلك تنوي ألمانيا ، على ما جاء في جريدة « اسيرناسيونال تسييتونغ » — وهي لسان حال جورج — تحويل طوائف من هؤلاء الفلاحين الى انتاج منسوجات وأحذية وأدوات زجاجية وما اشبه لتباع الى السواد الأعظم من سكان أوروبا البالغ عددهم ٣٥٠ مليوناً . ولهذا الغرض تنشأ مصانع عظيمة وتجهز بالآلات ضخمة تصنع في ألمانيا . ولكن يتعين على العمال أن يعيشوا في حجرة كبيرة مشتركة ، وأن يعمل العامل منهم اثنتي عشرة ساعة في اليوم أو أكثر ، ويحظر عليهم الامتناع عن العمل أو تبديله وفقاً لرغبتهم

وقد أنبأ النازي رجال صناعة الخزف والزجاج في الدنمارك ، أنه عندما تضع الحرب أوزارها ، فستنقل مصانعهم الى تشيكوسلوفاكيا ، حيث تركّز صناعة الزجاج والخزف لكل أوروبا . وقيل لصناع المنسوجات من الدنماركيين كذلك أن مصانعهم ستنتقل الى بولونيا حيث تركّز صناعة المنسوجات لأوروبا الشرقية كلها . وقد ورد في بيان ألماني رسمي أن جانباً كبيراً من آلات صناعة المنسوجات في شمال فرنسا وجنوب بلجيكا نقل الى مصانع جديدة في سلوفاكيا وهنغاريا، وهذا يعني القضاء على صناعة ترتد في نشاطها وتقدمها الى القرن الثاني عشر



كانت هولندا وبلجيكا وفرنسا تتمتع قبل الحرب ، بموازنة لا بأس بها ، بين الانتاج الزراعي والانتاج الصناعي . ولكن النازي ينوون القضاء على هذه الموازنة ، بالقضاء على الصناعات الكبيرة . وبينما يساق الفلاحون الى العمل الصناعي في البلقان يساق الصناع في غرب أوروبا الى الارض وحرثها

والباعث الأول على كل هذا هو سياسي في المقام الاول . وقد أفرغ ضابط الماني ، في قوله : « بازالة الصناعات من فرنسا نقضي القضاء الأخير ، على كل محاولة فرنسية غرضها الاعتداء علينا » ولكن خطة تحويل هولندا وبلجيكا وفرنسا الى بلدان زراعية ، له مزايا اقتصادية كذلك . فموطن الضعف الأول في الزراعة الاوربية هو قلة انتاج العلف للمواشي وبلدان غرب أوروبا تصلح من ناحية الجغرافية والتربة لانتاج مقادير وافرة من مواد العلف . فعليها اذن ان تنتج اصنافاً خاصة من المحاصيل الزراعية كانت أوروبا تشتري معظمها من الولايات المتحدة وأميركا اللاتينية

وزيرع الألمان ان الحاجة تقتضي تحويل جميع سكان هولندا وبلجيكا وفرنسا — وعددهم ستون مليوناً — الى هذا الضرب من الزراعة فلا يفيض فيها عمال للاشتغال بالصناعة . ولا ريب في أن تطبيق هذه الخطة على غرب أوروبا يفضي الى خفض مستوى المعيشة . ولكن هذا الاعتبار لا يعيق النازي عن تنفيذها . واذا حسب حساب ما هو معروف فقط عن موارد منطقة البحر المتوسط كانت كافية لانتاج جميع الخامات الهامة التي لا توجد في المنطقة الاوربية المعتدلة وليس في الوسع احلال الاعواض Substitutes محلها الآن

واذا نظرنا الى المسألة من الناحية الاقتصادية البحت وجب ان نسلم بإمكان انشاء قارة اوربية مكتفية . واذا طبقت أساليب الانتاج النطاق الواسع فقد لا يستغرق انشاؤها على هذا الغرار زمناً طويلاً ، ولا سيما اذا لم يحسب حساب للاضحايا البشرية التي تضحي في سبيلها . وهتلر لم يقيم يوماً ما وزناً للحياة البشرية

ولكن هل يقنع النازيون بحصر جهدهم في السيطرة على أوروبا بما فيها جانب من روسيا ؟ او هل يوجهون سعيهم الى السيطرة العالمية ؟

قد يقيم بعضهم الحجة على ان انشاء النظام المتقدم الذكر في قارة أوروبا يعني تخلي النازي عن الغزو العالمي . وفي الوسع كذلك اقامة الدليل على ان انشاء هذا النظام يمكنهم من اتخاذ قارة أوروبا قاعدة للاعتداء على اي منطقة أخرى خارجها . ولكن الخطط التي وضعها النازي تجلو لنا أمراً لا ريب فيه وهو انه اذا أحرزوا الظفر فلا الولايات المتحدة ولا أميركا اللاتينية تستطيع أن تتجر بدولار واحد مع القارة الاوربية



كاتب الفصل الذي نقلناه في ما تقدم — عن ريدرز ديجست عن مجلة النايشن — عالم اقتصادي اميركي من أصل نمسوي وهو يدعى دروكر Drucker وقد شغل منصب محاضر في الموضوعات الاقتصادية في غير معهد واحد من معاهد الولايات المتحدة ، وله مؤلف اقتصادي نفيس عنوانه The End of Economic Man ومقالات محكمة في مجلات اميركية محترمة كمجلة « هاربرز » وما كان على طرازها ويسرنا ان نوجه انظار قراء المقتطف الذين يعنون بالناحية الاقتصادية من الحرب الى كتاب « النظام الجديد في اوربا » الذي ألفه الباحث الاقتصادي والمالي البريطاني « بول اينتسج » ونقله الى العربية الأستاذ أحمد عبد الخالق والاستاذ محمد بدران . وهو من خيرة الكتب التي فصلت فيها قواعد « النظام الهتلري الجديد » في اوربا من النواحي الاقتصادية والمالية . والى القارئ فقرة واحدة من كتاب اينتسج صفحة ٦٩ وهي تؤيد ما قاله دروكر ، والكتاب كله جدير بالدراسة : —

« ومنظم التجارة الخارجية أيضاً في ظل « النظام الجديد » خدمة المصالح الألمانية وحدها فستقضي بالتأكيد على تجارة الصادرات للشعوب الخاضعة لسلطان ألمانيا اذا كانت هذه تنافس الصادرات الألمانية . ولقد ذهب الألمان الى أبعد من هذا فعطلوا بعض الصناعات الفرنسية التي تنتج مواد الترف للتصدير ، مع أنها لاتنافس الصناعات الألمانية بحال من الاحوال . ولسنا نستطيع أن نفهم هذا الموقف الذي تقفه ألمانيا من صناعات البلاد المحتلة الخاصة بالمواد المصدرة على أنه من وسائل التنظيم الاقتصادي وحده مهما كان في هذا التنظيم من رعاية لمصالح ألمانيا دون غيرها . ذلك أن من مصلحة ألمانيا أن تظل تجارة الصادرات في البلاد الخاضعة لها قائمة تمدها بما هي في أشد الحاجة اليه من العملة الاجنبية لتشتري ما تحتاجه من الحاصلات من وراء البحار . ولكن مصلحة ألمانيا السياسية والحربية تقضي عليها أن تعطل صناعات البلاد المحتلة الى أقصى حد مستطاع ، وأن تستحيل البلاد الخاضعة لسلطانها بلاداً زراعية خالصة . ويستدل من هذا على أن التنظيم الاقتصادي في ظل « نظام أوربا الجديد » لن يكون من ورائه الا الحاق الضرر بالبلاد الخاضعة لسلطان ألمانيا ، ولن يكون منشأ الضرر مقصوداً على أن ألمانيا ستراعي فيه مصالحها الاقتصادية وحدها ، بل سيكون من أسبابه أيضاً أن الاعتبارات السياسية والحربية ستسخر كلها لبقاء الشعوب التي تحت حكمها خاضعة لها خضوعاً أبدياً »



# بَابُ الْمُرَاسَلَةِ وَالْمُنَاطَاةِ

## يهودية اشبنجلر

صديق الفاضل رئيس تحرير المقتطف الغراء

أحييكم وأقدم اليكم التهنئة القلبية للتعافي ، وبعد قرأت في عدد أغسطس ما كتبه الاستاذ علي أدهم في عقيدة اشبنجلر ردًا على كلمتي في عدد يوليو « توفية للبحث واستيفاء للحقيقة » كما يقول فأرجو منكم فسخ المجال لما يلي في العدد المقبل لأنه كلمتي الأخيرة فيه ولكم جزيل الشكر

حين سألت الاستاذ عن مرجع حكمه يهودية اشبنجلر لم اقصد به سوء منه النقاش فان عندي في الآراء وبخاصة في المسائل العلمية رحابة الصدر ، احترم كل رأي من حيث الرأي سواء كان خطأ أو صواباً غير أنني بنفسى أبذل قصارى جهدي في أن يكون رأيي صواباً قوياً ولا يكون فائلاً أو خطأ . فلذلك سألت الاستاذ عن المرجع لأغير رأيي اذا كان دليله أقوى من دليلي ، ولكني من الاسف لم أجده أقوى من دليلي لذلك رفضته ، فبدأ الاستاذ يناقشنا فيه

والنقاش اذا روعيت فيه شروطه وقصد منه الحق المحصن في الحقيقة مفيد . ومن أهم شروطه ضرب كبد الموضوع وعدم الخروج عنه . ولكن عادة الاستاذ أن يخرج عن الموضوع بلا ضرورة كما عمل في كلمته السابقة اذ ساق كلامي بغير أي داع الى غير ما قصده والى ما شاء هو ، وأنزلي منزلة الجاهل فبدأ يلقي علينا درساً عن اسبينوزا وعن الزمن الذي عاش فيه وهو من البدييات ، كذلك عمل في كلمته الأخيرة ما سنستكمل عنه فيما بعد . واني على كل حال أشكر الاستاذ واعتذر بكل الاسف أنني قد صرفت جزءاً هاماً من حياتي في دراسة العلوم العقلية والفلسفية وتحملت مشقة تعلم عدة لغات لاستفيد من المراجع الاصلية دون التراحم لذلك أنا في غنى عن دروس الاستاذ

وبعد هذا اتوجه الى كلمة الاستاذ الأخيرة . أما في الموضوع فلم يقدم لنا الاستاذ فيها دليلاً جديداً « توفية للبحث واستيفاء للحقيقة » اذ كلها إعادة وتكرار لما سبق واصرار



عليه ، وقد قلت سابقاً أن أقوال الرجل وآرائه وأعماله على نفسه عندي أقوى وأوثق من شهادة غيره عليه ولذلك لا وزن عندي لأقوال الناس ودعاويهم في يهودية اشبنجلر ما دامت تصانيفه وآراؤه وأعماله تثبت خلاف ذلك. وهو السبب اني لم أتبسط في أقوال بعض زملائي الاساتذة في الجامعة إذ ذكرته كدليل ثانوي

أما قول الاستاذ : « كأنه يريد من اشبنجلر ... الخ » فلم أقله وأنا لم أتسخر بكلامي ذلك بل قصدت به ما قاله الشاعر العربي

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى منعزل

فان العالم ليس عبارة عن بلاد المانيا فقط ومتنبعو الحوادث في العالم يعرفون وافرض ان الاستاذ أيضاً يعرفه انه حين بدأ اضطهاد اليهود في المانيا احتج كبار علماء المانيا من اليهود وغير اليهود من اصحاب المبادئ الحرة عليه ، فلما لم يجد احتجاجهم نفعاً اختاروا الهجرة ، فالعلامة اليهودي اينشتين هجر والشاعر الاديب الشهير توماس مان وأخوه الكاتب هاينرش مان والكاتب البارع اميل لودوج والعالم الكيمائي هابر وغيرهم كثيرون هجروا فكان ممكناً لاشبنجلر أيضاً ان يخذو حذومهم على الأقل ولكنه لم يعمل بل شد ازر النازية بمصنفاته وأفكاره وهو أكبر دليل على انه لم يكن يهودياً

أما قول « الاستاذ انه أثر العافية والسلامة وسار في ركاب الاقوياء » فهو دعوى بغير دليل ولا ثبوت

أما في الامور الخارجة عن الموضوع فأتعب الاستاذ نفسه بذكر المراجع العديدة وترجمة بعضها في اثبات اثر اسبينوزا في جويته وهو تحصيل الحاصل فاني لم انكره ولا طلبته منه كما لا اجهله اذ جميع تلك المراجع عندي ، بل أعلم من مصنفات جويته نفسه اعترافه باثر اسبينوزا وانتقاده له ، واما ما ذكرت في مقالي السابق من افكار بعض المفكرين له فهو ما قرأت منذ سنين في مباحث علمية تحليلية جلية القدر عظيمة المنزلة لبعض كبار المفكرين في بعض المجالات الالمانية

عسّرني الاستاذ باني لم اكن اكثر دقة حين قلت في مقالي « ان فلسفة اسبينوزا تعد الى مدى كبير صدى الفلسفة العربية » وانا ارى ان الاستاذ بنفسه حسب المثل العربي « رمتني بدائها فانسلت » لم يكن اكثر دقة في فهم كلامي ، فما دهري بازدراء المفكرين العظام والعلماء الافاضل ولم انور به امتهان اسبينوزا ولكل امرئ ما نوى ، وقد قيدت « صدى » بقيد « الى مدى كبير » ولم اقل ان فلسفته كلها كانت « صدى » او « ظلاً » كما قال الاستاذ. وما نقله عن كتاب الاستاذ الدماركي هارالد هوفدنج أيضاً ثبت ما قلته إذ هو يعترف



باستفادته من ابن رشد وابن ميمون . وقد ذكرت في مقالي السابق المراجع التي يرى أصحابها الفضلاء أيضاً هذا الرأي ، وعليه فأرجو ان لا يؤاخذني الاستاذ لو صارحته ان رأى هؤلاء العلماء هو عندي أصوب من رأيه

يقول الاستاذ علي ذكرى حقيقة تاريخية ماثرة شهدها العالم منذ ربع قرن تقريباً وكانت أساس دعاية الجانبيين ولا تزال ان طهجت «الدون كيشوتية» مع ان كلمة الاستاذ بنفسه حسب المثل رميتي بدائها فانسلت ليست بخالية من تلك اللهجة فقوله «فرعون العصر الحاضر» وقوله «وهو محسوب على الثقافة الألمانية» اكبر دليل عليها . أوليس الأجدر إذن ان يعيد الاستاذ نظره في الكتاب الذي يرى ان أهديه أنا ، ثم يتولى هو بنفسه تقديمه الى من يشاء من الأحياء والموتى ، لان الطبيب أولى بمباشرة علاج مرضاه من غيره ، ولان علم الاستاذ يقدر بعماجه ان يصلح بذلك الكتاب الأحياء والموتى على السواء فينال به زعامة الأحياء في هذا العالم والموتى في يوم الحشر

وفي الختام استسمح الاستاذ لأوضح مسلكي في مثل هذه الأمور لكي لا يتعب نفسه في ذم فريق ومدح فريق آخر . أنا ياسيدي الاستاذ قد ولدت في بلاد شرقية لا تعد نفسها جزءاً من أوروبا وتشعر شعوراً مستقلاً قوياً بمجدها الماضي الشرقي وتسعى بكل ما لديها الى إحيائه على ضوء الافكار الحديثة بغير جمود ولا جحود، وقد تثققت بثقافة علمتني من الصغر «يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم» و «الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها» وعليه فالحكمة او الحق هو ضالتي أينما كان لذلك اذا طعن الاستاذ في فريق دون فريق فأنا لا أتأثر منه لان للسائل العلمية عندي قداسة فوق ذلك . وأعلن ان هذه كلمتي الأخيرة في الموضوع ، وفي يوم يقدر الاستاذ ان يثبت لي بآراء اشبهنجل وأقواله وأعماله ، او بمصدر نازي لان النازية ضد اليهود والاشياء تعرف باضدادها او بدليل آخر أقوى من ذلك انه يهودي ، سأعلن مشايعتي لرأي الاستاذ مسروراً ممتناً . وأما الدلائل التي دونها في القوة والوثوق او الكلام الخارج عن الموضوع فلا يستحق عندي ان أرفع له رأسي والسلام ما

\*\*\*

حاشية : استعمل الاستاذ في كلمته «افتراض» بمعنى فرض وما نعرفه هو أن افتراض يستعمل بالعربية لمعان خاصة غير معنى فرض فاذا كان الاستاذ اعتمد فيه على كلام أحد شعراء القدماء أو أئمة اللغة فنرجو نصره في المفتطف وله الشكر

السيد ابو النصر احمد الحسيني الهندي



# بَابُ الْإِخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

العلم والحرب وما بعد الحرب  
ضرورة التعاون بين العلماء والساسة

ايدن والمستر وينانت السفير الاميركي  
والسيو مايسيكي السفير السوفياتي والدكتور  
ولنغتن كو السفير الصيني، كما شمل فريقاً كبيراً  
من علماء الحلفاء في مقدمتهم علماء فرنسا  
الحرّة، وعلماء المانيا المضطهدة، وعلماء الصين  
المسكوفة وغيرهم

كان الموضوع العام الذي علّجه أعضاء  
المؤتمر « العلم والاّ نشاء بعد الحرب ». وكان  
رئيسه السر رتشرد غريغوري رئيس تحرير  
مجلة نايتشر سابقاً. وكان المؤتمر نفسه تحت  
إشراف قسم جديد في المجمع اسمه قسم  
« العلم وعلاقاته الدولية والاجتماعية »

مربية علمائنا - مراح

بدأ الاجتماع يوم ٢٥ سبتمبر في دار  
المعهد البريطاني British Institute بلندن  
فتلا فيه الرئيس رسالة من المستر تشرشل هذه  
ترجمتها ... « ازاء الظلام العقلي الذي أخذ  
يرخي سدوله على المانيا ، نعتبر حرية عدائنا  
سلاحاً قوياً في أيدينا ، لأن التفوق في  
الارتقاء العلمي عامل حيوي في التأهب للنصر  
« ولا بد أن يستغرق جهد الأمم المتحضرة  
زمناً طويلاً قبل ان يرموا ما خلفه الألمان

بجمع تقدم العلوم البريطاني ، من الهيئات  
العلمية الكبيرة التي تعود قراءة المقتطف  
مطالعة اخبارها وقراءة محاضرات رجالها ،  
وقد نشرنا من سنوات كتاباً كبيراً يحتوي  
على عدد وافر من خطب الرأسة فيها . هذا  
المجمع لم يعقد اجتماعه السنوي في السنة  
الماضية ، لأن شهر سبتمبر ، وهو الشهر الذي  
يعقد فيه الاجتماع السنوي عادة ، كان شهر  
موت او حياة في بريطانيا ، اذ فيه بلغت  
معركة بريطانيا أوجها من الشدة والعنف  
الى ان ردت كتائب الامان الجوية ، وغذت  
تحاذر الاغارة على بريطانيا في النهار ، ما عدا  
طائرات قليلة تأتيها فرادى

ولكن المجمع عقد اجتماعه السنوي ، في  
شهر سبتمبر الماضي ( ١٩٤١ ) وحضره فريق  
كبير من أكبر علماء العالم ، بل ان ثلاثة علماء  
على الاقل طاروا من الولايات المتحدة الى  
لندن ليحضروا جلساته ويلقوا فيها محاضرات  
تقيسة

ولم يقتصر اجتماع هذه السنة على العلماء  
البريطانيين بل شمل جماعة من أكبر رجال  
السياسة ، نذكر بينهم الرئيس بنش والمستر



ثم تحول المستر ايدن الى موضوع العلم والاجتماع فقال : ان ما أسداه العلم الى الحضارة سهل أسباب العيش على كثيرين من الناس ولكنه أفضى الى غير قليل من التفاوت والاثرة والتوزيع الجائر والنزعة المادية. قال :

فاذا أردنا بعد الحرب ، ان تناح لنا فرصة طيبة لمكافحة هذه المساوي ، فعلى العلم والسياسة ان يعملوا معاً . عليكم ان تساعدونا وترشدونا ، واذا كان في قدرتنا ان نسدي خدمة ما فسنسديها مغتبطين . ان السياسة في اثناء الحرب خادمة الخطة الحربية ( الاستراتيجية ) وأملى أن تغدو في أثناء السلام خادمة العلم . ويتعين على السياسة ان تضمن حينئذ ان ثمار العلم لا تضيع جزافاً ولا يساء استعمالها في حياة الشعوب

#### القضاء على الجوع والبيف

وخطب المستر وينانت سفير الولايات المتحدة في لندن فقال « ان الخدمة الاولى التي في وسع العلم اسداؤها الى البشر الآن ، هي توحيد الاسلوب العلمي والعلم العملي في تأييد قوات الحلفاء المسلحة ، فهي تنشأ الآن وتدرّب وتسلح لكي تقضي على سطوة النازي . إن أصحاب هذه السطوة حاولوا بقوة لا ترحم وقساوة لا تلين اهانة الكرامة الفردية والقضاء على حقوق الانسان » . ثم قال : — « ان النازية قد سرقت المحترمت العظيمة التي ابتدعتها العقول الحرة المبدعة

وراءهم من الخراب المادي والأدبي . ولا بد ان يستأثر هذا الجهد بجميع موارد العلم . ولكنني أنظر بعين الرجاء الى اليوم الذي يستطيع فيه علماء كل أمة وقف نشاطهم على عمل الانشاء المشترك »

#### السياسة خادمة العلم

وخطب المستر ايدن فقال « اننا دعوناكم لمساعدتنا في سبيل القضية التي نكافح من أجلها ، وسترداد حاجتنا اليكم في عمل الانشاء بعد الحرب . عندئذ سنواجه كفاحاً آخر ، لا يقل مشقة واستثارة بالهمة وطلباً للتضحية من كفاحنا الحالي — وهو كفاح ضد الجوع ، والعبودية ، والالم ، ألم الجسم وألم الروح » ثم قال : ان ما نبذله وتبذلونه الآن من النشاط وقف على القضاء على نظام هتلر المخرج بالدماء الملفوف بالأوجاع . إن المانيا فرضت بنفسها على نفسها حصراً عقلياً ، فهي مطوقة من الناحية الفكرية . وهي التي تخلت بنفسها عما يشيع في روح العلم من مبدأ الاشتراك العام والتعاون الدولي ، إنها أبعدت خيرة علمائها ، إما بطردهم بالقوة وإما بانشاء حالة من العيش لا يطيقها روح العالم الحر « وأبغض ما في النظام الهتلري ، هو فكرة « الشعب السيد » والشعوب المسودة الخاضعة له . فالعلماء الالمان الذين لم يطردهوا او لم ينفروا من المانيا ، أصبحوا عبيداً لنظام يناقض كل ما يمثله روح العلم الصحيح »



المؤتمرون على ان مساهمة العلم في قهر الطغيان النازي أمر لا مفر منه ، مع ثقله على طباع العلماء ، لأنه اذا ظفر النازي واتباعهم في الحرب ، قضى على الأسلوب العلمي في البحث وأساسه حرية الفكر والبحث

أما مقام العلم في الانشاء بعد الحرب ، فقد عاجله كل من ناحية اختصاصه

فألقي الاستاذ لوثر جوليك — وهو

أحد أساتذة جامعة كولومبيا وقد طار من أميركا الى لندن ليشهد هذا المؤتمر — محاضرة مما أنشأته حكومة الولايات المتحدة بوادي نهر التنيسي من مصانع كبيرة لتوليد الطاقة الكهربائية ومصانع للسجاد وغيره ، وساق هذا دليلاً على ما يستطيع العلم متعاوناً مع الحكومة في اصلاح قطر كامل وشق طريق الرضاء أمامه . فالمنطقة التي تشملها هذه المشروعات الاميركية العظيمة تبلغ مساحتها مساحة بريطانيا ولكن سكانها لا يزيدون على مليونين ودخلهم يسير وكثير من أرباب العائلات فيها لا يزيد دخلهم السنوي على ٥٠ جنيه في السنة أما الآن فقد أخذ الرضاء يعم المنطقة ، وما أنشئ فيها من منشآت صناعية يسدي خدمات جليلة الى النشاط الحربي

وألقى المستر هربرت موريسون وزير الداخلية البريطانية محاضرة طالع فيها ما يستطيع العلم ان يسديه الى الناس في مسائل الماء كل والمسكن والملبس بحيث لا ينزل أدنى ما يصيبه الفرد منهم عن مستوى معين يحدده العلم .

وانطلقت بها هاجمة متهورّة تستعملها في استعباد الروح البشري لا في تحريره . ثم قال : على العلماء ان يمدوا نظرهم الى ما بعد الحرب ، اذ لا بد ان يكون العالم جريحاً كسيحاً تشتد فيه الفاقة ، وتعمظم الحاجة ، فهناك المجال لا يدي العلم الآسية وقدرة العلم على الانشاء للنظوية في الفنون الميكانيكية والصناعية

\*\*\*

« واذا نحن نحاول ونسعى جهدنا الى تأييد حقوق الانسان السياسية ، وهي الحقوق التي لا غنى عنها ركناً للتقدم العلمي وشرطاً للعقل الحر ، فعلينا ألا ننسى ان على العلم تبعه عظمة في ان يبذل غاية ما في وسعه لا كفاء حاجات الانسان الاولى ، أي علينا ان نعترف بأن ضرورات الحياة هي جزء من حقوق الانسان . علينا ان نقضي على الجوع وعلى السيف وسيلة لتسخير الناس . وبهذه الوسيلة دون غيرها نستطيع ان ننفخ معنى وحياة في ذلك الحق الانساني « حق الحياة والحرية ونشدان السعادة »

طرف من اقوال المحاضرين

كان لطاق الموضوعات التي عالجها العلماء في محاضراتهم واسعاً جداً ولكنها كانت تدور جميعها حول مسألة عامة وهي ما نصيب العلم في انشاء العالم الجديد ، بعد ان يساهم العلم في قهر الطغيان النازي . وقد أجمع



نواحي العلم ولا سيما في علم الإحصاء . وهذا يمكن العلماء ورجال الحكم من الأجابة عن مسائل كثيرة معقدة في الشؤون الفنية على أهون سبيل ومن أخصر طريق . وعنده ان هذه الناحية من التقدم يجب ان تختصر مدّة تطبيق الاساليب الفنية الجديدة في الصناعة وملاءمة الاحوال الاجتماعية لها . وهذا في رأيه يحقق في اثناء الحرب متأثراً بضغط الحاجة فيجب ان يكون مستطاعاً في ايام السلام بوحى العقل

ووقف العالم الزراعي المشهور السرجون رسل خطبته على موضوع اصلاح الاراضي الزراعية الروسية التي اقتضت الحرب تدميرها فاقترح ان تنقل البذور المؤصلة التي استصفاها علماء الزراعة في روسيا ، الى انكترا حيث تحفظ في مكان أمين لتعاد الى روسيا بعد الحرب ، لأنها اذا وصلت اليها يد التدمير ، فقد يتعذر عود الزراعة الروسية الى حالتها السوية قبل عشرات من السنين . وذهب الى ان تدمير أشجار الفاكهة في أوكرانيا من أبعث بواعث الأسى واقترح ان تجمع البراعم وتنقل بالطائرات الى حيث يتعهد الخبراء بالناية والرعاية ثم تعاد لغرس بسايتين الفاكهة في اوكرانيا بعد الحرب

وخطب لورد صمويل وهو ذو منزلة عالية في دوائر الفلسفة علاوة على مكانته السياسية فيين منزلة العلم في تأييد قضية الحلفاء واقترح تعيين ملحقين علميين اسوة بتعيين

وقال ان تعيين هذه الحدود يجب ان يكون عاملاً سياسياً واجتماعياً من الطبقة الاولى . وقد صفق له المؤتمرون طويلاً عندما ختم خطبته بقوله « لا بد للسياسي المطبق بأذنه على الارض لتعيين الاتجاهات السياسية ان يخلي مكانه في ما بعد الحرب للسياسي الذي تحدد عيناه في المستقبل »

وخطب الفسيولوجي الكبير الاستاذ هل نائب جامعة كبردج في مجلس النواب فبحث في موضوع مكانة العلم في الحكومة ، ووجوب تعيين مستشارين علميين في الوزارات المختلفة على ان لا يقيّدوا في بحث المشكلات التي تعرض عليهم بقيود الاداة الحكومية ، لكي يكون بحهم والنتائج التي يخلصون اليها قائمة على أساس علمي صحيح . وضرب مثلاً على ذلك بمستشارين علميين في وزارة التوأمين كان لآرائهم في شتى المسائل فائدة كبيرة . وختم بقوله ان البحث العلمي يجب ان يوضع له نظام ولكن بغير ان يجور ذلك النظام على روح البحث الحر

وخطب الدكتور نجرين رئيس الوزارة الاسبانية في عهد الحرب الاهلية فيين قيمة التدريب العلمي في حياة السياسي لانه يمكنه من البحث بحثاً دقيقاً والحكم حكماً صادقاً في المسائل المعروضة عليه . وكان بليغاً بالبلاغة كلها في مناشدته جميع الأمم ضمّ الجهد للقضاء على « الحكم الكلي الوحشي الذي قام في اوربا » ووصف الاستاذ برنال التقدم في بعض



على العلماء ورجال السياسة الذي حضروا الجلسة الختامية وثيقة وصفت بأنها « دستور العلم والعلماء » وهي تحتوي على سبع مواد اليك ترجمتها :-

١ - حرية التعلم ، وفرصة التعليم ، والقدرة على الفهم ، لا غنى عنها في توسيع نطاق المعرفة ، ونحن العلماء نقول ان التوضيح بها تقضي الى إهدار كرامة الحياة البشرية

٢ - الجماعات تعتمد في بقائها وتقدمها على معرفتها أنفسها وخواص الاشياء في العالم الذي يحيط بها

٣ - جميع الأمم وجميع الطبقات أسدت أيادي الى المعرفة وطرق استعمال الموارد الطبيعية والى فهم تأثيرها في الارتقاء البشري

٤ - المبادئ الأساسية في العلم تعتمد على الاستقلال مقترناً بالتعاون وتتناثر بحاجات الانسانية السائرة الى الامام

٥ - ان رجال العلم هم أمناء كل جيل على ما يرثه من المعارف الطبيعية . فيتعين عليهم ان يرعوا هذا الأثر وان يضيفوا اليه ، بالصيانة الآمنة وخدمة المثل العالية

٦ - جميع طوائف المشتغلين بالعلم اخوان في جامعة العلم العامة ، وهذه الجامعة نطاقها الأرض قاطبة وكشف الحقيقة غرضها الأساسي

٧ - إن الماضي في البحث العلمي يقتضي حرية عقلية وتبادلاً دولياً لا قيد لهما ، ولا يترعرع الا في حضن الحياة المتمدنة الحرة

ملحقين حريين وتجارين بالسفارات والمفوضيات فيكون همهم تتبع مجالي الارتقاء العلمي في البلدان التي يوفدون اليها

وتلاه السر جون اور Orr العالم المشهور في موضوع الغذاء فقال ان اوربا ستواجه بعد الحرب أعظم كارثة نزلت بها فعلى الحلفاء ان يعينوا من الآن لجنة دولية لبحث موضوع الطعام ووضع خطة ينفذها الحلفاء عند ما يكتب لهم النصر لاتقاء غائلة المجاعة والأمراض . وأيده في ذلك المسترنويل بايكروم عضو مجلس النواب البريطاني ، والاستاذ فيلوس لوي وخطب المسترنول ملخصاً رسالة طويلة

كتبها للمؤتمر في مستقبل الانسان على سطح الأرض واحتمال انحطاطه وانقراضه اذا لم يحكم عقله ويطبق ما يقضي به العقل من ملائمة نفسه للتحول العمراني . وبعد ما عالج مهمة رجال الفكر في إعداد العالم للمستقبل اقترح السيطرة على وسائل النقل الجوي ، وحفظ موارد الارض من البعثة والتبذير ، وانشاء لغة مشتركة للتفاهم السياسي والعلمي والفلسفي والديني ، وتأليف دائرة معارف عالمية . وهذه المقترحات ليست جديدة في أقوال ولز فقد عالجها في غير كتاب واحد من كتبه بل في جميع الكتب التي ألفها في العشرين السنة الاخيرة

دكتور العلم والعلماء

وقد قرأ الرئيس المر رتشرد غريغوري



## الموتى بسروهم حرمة الى الاحياء لعوض جندي عن الاستاذ هولدين

ينبغي ان يظل يوم ١٧ يناير سنة ١٩١٢ يوماً مشهوداً في علم الاحياء إذ قام فيه الدكتور الكسيس كارل الطبيب المشهور في معهد روكفلر للباحث الطبية بادخار قطعة من قلب فروج لاجل الاعقاب . وكانت تلك الفلذة حية حينما نزعها من موضعها وتولى الاشراف عليها . وما زالت حية الى الآن وسوف تبقى كذلك لتصير تاريخية خالدة . وهي الآن في سنة ١٩٣٦ سليمة قوية البنية مثلاً حين وضعت في ذلك المعتقل . ولكن يبعد جداً ان يستطيع أي مجرب عادي القيام بتجربة علمية كهذه في قلوب الفرايريج . لان الدكتور الكسيس كارل يراعي تلك الفلذة مراعاة فائقة كأنها أميرة من الاميرات فيقدم اليها كل ما تحتاج اليه من اللوازم بحيث تبقى البيضة التي تعيش فيها تحت رقابة بقطعة ، كما لو كانت كائنة في صدر فروجها ، إذ يوصل اليها الهواء الصالح والغذاء النافع من البروتينات التي تغذى بها الاجنة ، وترطب بمحلول ملحي مركز التركيز الملائم لنموها ، وهذا الى جانب تنظيمها جيداً من الفضلات التي تتبقى فيها ، من استهالة الغذاء . وبما أنها حية فهي دائماً النمو ، ولذلك تكتسب الانساج الزائدة من حولها لتبقى ذات حجم معين لا تتعداه . وكل خلية من خلايا الجسم البشري تاتي هذه العمليات جميعها . والمقصود من التركيب العضوي الحيواني انما هو تعاون طائفة كبيرة من الخلايا بعضها مع بعض ، بحيث يعني كل منها بالوسط الذي تعيش فيه أخته ، فتمكن كل الخلايا جميعها من الحياة . ومدار حياتها ، قيام كل منها بتنظيف الاخرى . إذ الخلايا الفردية لا تستطيع الخلود ، بيد ان فلذة قلب ذلك الفروج التاريخي موشكة على الخلود ما دام معاونو الدكتور كارل في معهد روكفلر دائمو الرقابة على الجها والمنظم للحرارة التي تحتاج اليها أثناء الليل وأطراف النهار . تم ما أردنا اقتباسه من من ذلك المصنف النفيس ، إيضاحاً للموضوع

مفروض على كل امرئ في الاتحاد السوفياتي أن ينفع أبناء وطنه في أيام حياته وقد يطرد أحياناً هذا النفع الى بعد مماته ولادراك وسائل ذلك النفع لا بد لنا من فهم شيء بشأن كنه الموت

كان المذهب القديم في الموت ، انه مفارقة الروح للجسد . فاذا ما طلقت النفس جسدها ، مات في هنيهة ولو شاهدت امرءاً وهو يلفظ روحه لرأيت نفسه ينقطع في لحظة معينة . وهذا سبب من الاسباب التي تجعل الحياة وثيقة الارتباط دائماً بالتنفس . ولاغرو فكلمتا حيوان وزوح ، مشتقتان في اللغة اللاتينية من لفظين يدلان على التنفس . ومتى فاضت روح الانسان ، كف مخه تواءاً عن اداء وظيفته فيموت بوصفه كائناً حياً . ولكن بعض اعضائه الاخرى يظل حياً . اما اذا قضى المريض بعلة غير قلبية ، بقي قلبه ينبض ما دام دافعاً ، مزوداً بالدم . وقد يلبث بعض خلايا بدنه حياً عدة ساعات

وما من شك أن خلايا فروج أمكن حفظها حية زهاء ثلاثين سنة وذلك بوضعها في مزيج صالح لتغذيتها مؤلف من الدم والمصادر الغذائية الاخرى

«الترجم : يقصد الكاتب فلذة قلب الفروج في تجربة الدكتور الكسيس كارل . واليك ما قاله فيها فرناس في كتابه المائة سنة القادمة»



وتظل هاتيك الخلايا تنقسم بذاتها .  
ولكن لما يفلح امرؤ في خلق فروج جديد  
منها ، أسوة بالزارع الذي يتناول فسيلة  
من النباتات او فلة من الحيوانات البسيطة  
جداً ليشتم تركيب ذلك النبات والحيوان .  
فلو كان الانسان آلة من الآلات المعروفة  
لاستطعنا ان نستبدل أية اداة تبلى من أدواته  
بأخرى من غيره ولكن دون ذلك خرط  
القتاد . وهذا ينطبق على الحيوان انطبقه  
على الانسان . فاننا اذا زرعنا رجل أرنب  
وغرزناها في جذع أرنب آخر ماتت في الغالب .  
وهذا عينه ما يحدث بلاشك للانسان

ومن وجهة أخرى يتاح نقل الدم من  
انسان الى آخر بشرط ان يتم النقل من الطائفة  
الصالحة . وقد تصلح لتلك الغاية دماء الحديثي  
الوفاة على ان يكون موتهم غير ناتج عن مرض  
معد . ومع ذلك ففي وسع الاصحاء منح  
الضعفاء دماءهم دون أن يحيق بهم مكروه وبناءً  
عليه غدت عملية التصفيق عامة مقتصرة  
على الاحياء

وللعمى عدة أسباب أكثرها شيوعاً  
تعتيم قرنية العين وهي النافذة الشفافة لمقدم  
العين . وكان الطبيبان زيرم Zirm الألماني  
والشينج Elshing البراجي (نسبة الى مدينة  
براج عاصمة تشيكوسلوفاكيا) في مقدمة من  
طالجوا ذلك الضرب من العمى بغرز قطعة من  
قرنية العين سليمة بدل قرنية مريضة ثم قام  
الدكتور توماس من أطباء كارديف في

انكارتا بتحسين الطريقة المشار اليها  
وفي ثغر أوديسا الروسي ، طبيب جراح  
وهو الدكتور فيلاتوف Dr. Filatoff قام  
بعدة عمليات ترقيع خاصة بقرنيات شفافة نزعها  
من عيون عميان كان علاجهم ميؤوساً منه .  
وهذا ينطوي على فقء العين من مجبر رجل  
حي او امرأة حية يكون أعمى أو تكون  
عمياء من علة غير تعقيم القرنية . وكذلك جرب  
استعمال عيون الموتى وذلك بأن يثلىج العين  
المقلوعة ، فوق درجة التجميد تماماً ، يوماً  
كاملاً أو أكثر من يوم ثم يقطع منها بالة  
خاصة جزءاً مستديراً يبلغ قطره نحو خمس  
قيراط . ثم ينقب في قرنية الاعمى ثقباً ممثلاً  
لذلك الجزء المقلوع فيغرز فيه . فدهش ذلك  
الطبيب المشهور من نجاح عملياته هذه (١)

فاستعمل رقعاً من قرنيات الاحياء (٢)  
فنجحت بنسبة ١٦ الى ٧٥ ثم جرب الرقع  
المنقولة من عيون الموتى فأعاد بها البصر الى  
٨٧ من ١٣٥ أعمى

وقدّر الدكتور فيلاتوف عدد  
العميان في العالم قاطبة بستة ملايين . وعدد  
المصابين بالعمى الجزئي بخمسة عشر مليوناً  
وهو يظن أن زهاء مليونين منهم يتاح  
علاجهم بهذه العملية علاجاً ناجحاً ، إذ

(١) عرض هذا المقال على صديقي الدكتور أحمد  
عبد الرحيم فيمي نظامي العميون وكبير أطباء الرمد  
في المجموعة الصحية ببولاق في القاهرة فاعجب به

(٢) راجع «العمى يعبرون» في مقتطف فبراير  
سنة ١٩٣٩



Sbarsky وفوروبيف Vorobiev بحقن  
جثة لنين بالمواد الكيميائية صوناً لها من  
التعفن فنجحوا في تلك المهمة اذ أتيح لهما وقف  
التغيرات المشار اليها

وأبلغ الدكتور سبارسكي الاستاذ هولدين  
أن أرملة أميركية من ربات الملايين طلبت اليه  
وقاية رفات زوجها من التعفن وعرضت عليه  
مبلغاً كبيراً من المال فأبى لاعتقاده ان أرباب  
الملايين لا تسوغ معاملتهم أسوة بلنين .  
ويلوح لنا ان المادة التي تتولد في الدور  
الاول من عملية التلدين قبل ان تموت الخلايا  
موتاً حقيقياً هي التي تثبت الرقعة في مكانها  
وهي التي تساعد الانساج المحيطة بها على  
عودتها الى حالتها الطبيعية

وقد شرع فيلاتوف في نقل قطع كبيرة من  
جلود الموتى ، الى اجساد الاحياء ففاز بنتائج  
باهرة . ومما يذكر في هذا الصدد أن روسياً  
من المشغلين باستخراج المعادن من  
مناجمها وبصناعتها احترقت يداه ثم عولجتا  
فشفينا ولكن بقيت في يده اليمنى آثار زرق  
كثيفة حالت دون حنيها فعولج بعض تلك  
الندبات برقع طبيعية من جلد ميت فصارت  
الباقية ألين مما كانت عليه . ومن ثمة أتيجت  
اعادة استخدام اليد . وفي الآونة الحالية يجرب  
فوج من تلاميذ فيلاتوف ترقيع اجسام الاصحاء  
من جميع الانواع ويأخذون رقعاً من أبدان  
الموتى الحديثة . ويصح القول انهم متفائلون  
جداً اذ ظفروا ببعض نتائج تبعث على الدهشة

يمكن حتى أوائل السنة الحالية من شفاء  
نحو ثلاثمائة أعمى ، بيد أنه يؤسف أنه  
نشوب الحرب الحالية أو التحيز الاجتماعي  
يحولان دون اتصال أطباء العيون السوفياتيين  
بزملائهم من أطباء الرمد في سائر انحاء  
العالم فيبقى أولئك المكفوفون على حالهم  
حتى تضع الحرب أوزارها

وذلك لأن جراحة العين من الفنون التي  
تتطلب مهارة فائقة وكل دقيقة من دقائقها  
لها قيمتها . ويستعين الدكتور فيلاتوف على  
اتمام العملية المشار اليها بمادة مطهرة هي  
الليسوسيم lysosyme فتوضع فيها العيون  
ريماً تبشر عملية الترقيع . والليسوسيم مادة  
طبيعية واقية من التعفن اكتشفها فلمينج  
Fleming أحد أطباء بريطانيا العظمى وذلك  
في دموع البشر وفي غيرهما من المفرزات الطبيعية  
الجمّة . ومع ذلك لم تستعمل في البلاد التي  
اكتشفها بل اقتصر استعمالها على جمهورية  
السوفيات حيث يتوسلون بها الى وقاية  
البطارخ caviare من الفساد

وقد عني الدكتور فيلاتوف بالوقوف  
على سبب نجاح الانساج التي تؤخذ من عيون  
الموتى الحديثين اكثر منها عند نقلها من  
عيون الاصحاء فتبين ان التفاعلات الكيميائية  
التي تحدث في انساج الجسم البشري بعيد  
الوفاة وان يكن الجسم قد صين من العفونة  
هي التفاعلات نفسها التي تلين اللحم عند  
تعليقه في الهواء . وقد قام الطبيب ان سبارسكي





# مكتبة المقتطف

## ١ — الصعلوك ، أبو شوشه ، الموكب

ثلاث مسرحيات من فصل واحد بقلم الاستاذ محمود تيمور بك نشرتها مجلة « الحوادث » في ١٢٦ صفحة من القطع الوسط — مطبعة عطايا بمصر

في عدد يونيو سنة ١٩٤١ من هذه المجلة بسطت القول في فن تيمور في آثاره القصصية فأوضحت أطوار فنه وسمات كل طور . وقلت في ختام ما كتبت ان فن تيمور دائم الحياة مستمر النبض ، ينقل عن الحياة فيحسن النقل ، يأخذ من الخيال فيحسن الاخذ والتصوير كما قلت ان الوصف عنده من أدق مظاهر فنه ، ومن أوضحها ظهوراً ومن أغزرها أيضاً بالحياة واليوم أتناول اتجاهها جديداً لفن تيمور ، إذ أخرج لقرائه ثلاث مسرحيات هن أول مجموعة لالتفاتة نحو المسرح . فلقد بذل جهوداً قوية في تدعيم فن القصة حتى أقام بنيانه موطن الاساس ، واتجه منذ حين الى أدب المغامرات فأخرج قصة « نداء المجهول » . وها هوذا يلتفت نحو المسرح يغذيه ويقويه كما كان يعمل أخوه الرحوم محمد تيمور بك من قبل وشأن محمود تيمور بك في مسرحياته شأنه في قصصه ، فهو دقيق الملاحظة لا تقوته بسطة من بسائط الجو المحيط بالصورة التي يرسمها . وهو يضع لكل شخصية ما يميزها من خلق او عمل فلا يتجاوز معها حدّها الطبيعي ولا جوهرها الاصيل فتبدو الصورة طبيعية . فهي ان كانت ساذجة ظلت على حالتها من السذاجة ، وان كانت على شيء من الحيلة ظلت ظاهرة العالم بدون مبالغة

وقد وضع الاستاذ تيمور مسرحياته باللغة العامية الدارجة بل كتبها بحروفها كما تنطق في اللغة الدارجة فلم يضع حرف القاف في مكان الهمزة في كلمة « قلت » مثلاً بل كتبها هكذا « ألت » . وحجته في تناول الحوار باللغة العامية الدارجة هو ان المسرحية ينبغي في كل تفاصيلها ان تكون صورة صادقة للحياة التي تصورها

وقد نختلف مع المؤلف في هذا الشأن فاننا نرى ان يكون أسلوب الحوار فيما بين



الشخصيات المثقفة اقرب الى لغة الكتابة الرقيقة . أما ما تنطق به الشخصيات الساذجة فلا بأس من وضعه على حالته ولنا فيما وضعه تيمور بك في قصصه حجة لنا . لأن الأدب ينبغي من وراء هذا أغلى الثمرات . ولو وضع كبار الكتاب هذه الخطة للناشئة من الأدباء لاستعصى بعد ذلك تطوُّر الفن المسرحي في أسلوبه وإن كان المعوّل فيه على القدرة على اعادة التصوير والأداء ، وهذا أول ما يتجلى في مسرحيات تيمور كما يتجلى فيها الروح الفكاهة الوثاب الذي يسري في كل حوار ، وهو يعيد الى الأذهان الروح الجميل الذي كان يغمر المسرح من فنّ المرحوم أخيه

وقد رسم لنا في المسرحية الأولى منها شخصية المرأة المترفة التي يعبث ترفها بكل ما كانت تقدره المرأة في الرجل فأصبحت لا تجري إلا وراء ماله لتشبع رغبات مظاهرها . ورسم لنا في مسرحيته الثانية صورة الرجل الذي تحت حياة الريف في نفسه كل مظاهر المدنية وشغلته عن عواطفه . أما الثالثة فهي صورة ساهرة من لونين من ألوان الحياة الاجتماعية بين آثار الماضي وزخرف الحاضر . وفي جميع هذه المشاهد تلعب ريشة تيمور بسحرها فتخرج الصورة في أجمل إطار

وإننا لنرجو ان يمتد نشاط الاستاذ تيمور في تغذية المسرح فهو حريص على ان يؤدي رسالته كما يقتضيه فنه فلم يترك ناحية يستطيع فيها ان يرفه عن الانسانية بفنه إلا اتجه اليها . ولقد أخرجت له دار « المكشوف » بلبنان اخيراً مجموعة صغيرة من القصص تحت عنوان « حورية البحر » وضعت للناشئة كما تخرج له قريباً مجموعة أخرى تحت عنوان « رجل رهيب » وقد أعلن هو عن مجموعة أخرى اسمها « قال الراوي » وهي في هذا الغرض السامي وانها لخدمة جلية

## ٢ - أرواح شاردة

بقلم الاستاذ علي محمود طه — ٩٦ صفحة من قطع المقتطف — طبع شركة فن الطباعة بمصر

لقد كُتب على الملاح النائه أن يظل خفّاق الشراع جوّاب الآفاق يطوي عالماً ليطل على عالم، وكأنّ جنّيات البحر لا يردن رده إلى شاطئ ما حتى لا تستأثر به عروس من عرائس الأرض فهذه رحلة جديدة له ، رحلة بين أرواح ثارت على قيد الصمت العميق بعد أن وهبها الخلود عرشه ، وأطلعها على أسرارها فظلت تطوف بهذا العالم كما يطوف الحلم الجميل بعين النائم الخلي

ولقد ضمت هذه المجموعة دراسات في الأدب الفرنسي تناولت علمين من أعلامه ها



« بول فيرلين » و « شارل بودلير » تناول شاعر حياة شاعرين ، ومن أدري بحياة الشاعر من الشاعر ؟ وهاتان الدراستان من امتع فصول الكتاب ، والى جانبهما دراسة من رسائل الكاتبة « ريكا وست » فيها عرض جميل للأدب الانجليزي الحديث

وبعد هذه الدراسات نقحات قدسية ترجمها الشاعر من شتى ألوان الأدب فهذه قبرة شيلي نقلها شاعرنا الى العربية نظماً غير مجترى على معاني الشاعر وأفكاره وسياقه الشعري بشيء من الخذف بل مضيفاً ما يقتضيه اظهار المضمهر من المعنى وتبسيط المركب من الخيال مراعيًا في التعبير عن الاصل الانجليزي ما توحى به مقتضيات البيان الشعري العربي موفقاً ما أمكن بين الاثنين . وهذه قصيدة « الشاعر وكتابه » للشاعرة الاميركية « ادناسانت فنسنت ميلاي » نقلها نثراً في أسلوب رائع ، وهذه « عودة الملاح » لجون ماسفيلد ، وهذه « اغنية القطيع » لروبرت سيتول — وقد نشرت هذه القصائد الاربع في اعداد سابقة من المقتطف — فبيت الراعي لالفرد دي فيني ، وقد نقلها الشاعر الى الشعر العربي نقلاً جديداً ناسخاً به الترجمة التي سبق أن نشرها لها منذ أعوام . أما روائع الكتاب فهذه الفصول التي عقدها المؤلف عن ذكرياته في مطارح الغرب ومنازع القلوب ومسارح الفن والجمال عند ما طوف في الغرب قبل ان تتلاشى جناته وتنفوس جناته وتعصف أعاصير الحرب وويلاتها بسحره ومفاته

وفي الحق أن هذه الذكريات صور من الأدب العالي وقصص لروح شاعرة شاردة عادت الى وكرها تهتف بما ملئت من سحر وقتنة صاغها الشاعر في أجمل صور النثر فكأنما هي هدية اليه فتى تعود الى الغرب مباوجه حتى يعود الملاح الى تيهه ويثوب اليها بذكرياته ، متى ! فلتعش يا اخي على هذه الذكريات العذاب ، ولتضع عمرك بينها حتى لا تهتف بعد ذلك بأنك ضيعت عمرك في الاوهام ، فما ضاع منك شيء ولك من هذه الذكريات حيوات وفيها شباب متجدد السمات

٣ — ويك عنتر !

مزاية في ثلاثة فصول تأليف الاستاذ عادل كامل المحامي — ١٦٥ صفحة من القطع الوسط — مطبعة الحلبي بمصر

الاستاذ عادل كامل قصصي موهوب تلمس في أولى آثاره القصصية التي أخرجها وهي هذه الرواية ، اشعاع هذه الموهبة ، وهو يكتب بفكره فتحس أثر ذلك في حوارده وفيما يضيفه على جو المسرحية من ألوان

واذا كانت هذه المسرحية بما فيها من جهد وما فيها من تفكير ومعالجة لمشكلة من أدق مشكلاتنا الاجتماعية وتصوير المرأة التي تزمها ظروف قاسية على أن تعمل ما لا ترضى به في سبيل ضمان الحصول لبناتها على أزواج بجانب أن تحصل لنفسها على « رجل » يمثل معها الدور الذي يضمن ليدها قبض ايرادها من الوقف فتكون وظيفته في الدار هي هذه الوظيفة فحسب كما يعالج



صوراً للشباب الذي فقد معاني « الرجل » من فتوة روتها الأجيال السابقة فما استطاع ان يصطنع لنفسه في عصره المتحضر فتوة كشباب العصر الخالية : فتوة لا تفقدها المدنية شيئاً من معنى الرجولة والحزم ....

إذا كانت هذه المسرحية بما فيها من هذا العرض الجميل والفكرة القوية هي أولى آثار المؤلف فما أجدره بالتقدير والتشجيع ، فهو لا ينقصه من العناصر الأساسية في التأليف المسرحي شيء . على أن لنا مأخذاً على هذه الرواية هو ان المؤلف أضنى على شخصياته من الألوان ما أخرجها في بعض مظاهرها عن طبيعتها في الحياة حتى ليكاد القارئ يستبعد وجود هذه الشخصيات ويجعلها أقرب الى أن تكون صوراً مجسمة يحركها المخرج على المسرح أكثر مما يحركها الحياة . كما ان هناك بعض هنات في قواعد اللغة رجو أن يتداركها المؤلف في الطبعة الجديدة وانا لنبتظر من الاستاذ عادل ان يتبع أثره الاول بغيره فله في مستقبل الفن المسرحي مكانة جديرة بالاعجاب . حسن كامل الصيرفي

### الثقافة الجنسية والأمراض السرية

تأليف الدكتور حنا حنا — صفحاته ٢١٠ صفحة من القطع الوسط

من أزم الواجبات أن يعرف كل إنسان ما يمس التربية الجنسية ليأمن الضرر ويتعرف الى الخطأ في تربية النساء ومسالك الخطر في تكوين المجتمع . فمن أجل هذا تلقى المحاضرات ومن أجل هذا يعظ الواعظون ويكتب الاخلاقيون . ولكن لا بد أن تكون أمام الانسان دروس ثابتة في كتاب يقرأها كل يوم فيملاً نفسه وتضع امام عينيه طريق التربية الحققة صوناً للأجسام والعقول فما أخطر على الامم من النقص في ناحية التربية الجنسية ولقد اضطلع بعناء هذه المهمة الدكتور حنا حنا حكيمباشي مكتب البغاء سابقاً . والاختصاصي في الامراض الزهرية والجلدية فأخرج لنا كتاباً في الثقافة الجنسية ألم في فصوله الاربعة عشرة بكل ما يتصل بهذه الثقافة من اجاث علمية وأمثلة حية من التاريخ القديم والحديث فجاء كتابه خلاصة لتجارب طبيب مضى عليه ثلاثون عاماً وهو متصل اتصالاً وثيقاً بهذه الناحية واقفاً على ما يعترى شباب الامة من الصعوبات في سبيل حفظ أجسامهم بعيدة عن الدنس وحفظ عقولهم بعيدة عن عقائد فاسدة ونظريات لا أساس لها ، كما جاء الكتاب متضمناً خلاصة البحوث الجديدة في التربية وعلم النفس والطب وكل ما يتصل بالثقافة الجنسية وللمؤلف الباحث طريقة جذابة في شرح فكرته واداء الامثلة عليها وسوقها للقارئ بحيث لا يحس مللاً ولا سأمًا مما له أكبر الاثر في التهام ما في كتابه من ثقافة واجبة التعرف واجبة الحفظ . وهو كتاب جدير بأن يقال انه من خيرة ما وضع في هذه الناحية في المكتبة العربية



## كتب صدرت عن الاقطار الشرقية

خارج القطر المصري في العشر السنوات الاخيرة وتناولها « المقتطف » ببجته

١٩٣١

البابون في التاريخ  
الاتدابات في العراق وسورية  
المشروعات  
الحياة الزراعية  
الزراعة الحديثة  
فتح العرب للشام  
ذكرى فوزي المعلوم  
منايات الصهيونية  
المجلد الثامن من الاكليل  
الرسالة النباتية

آلهة الارض  
كتاب الدواجن  
مجة الاصلاح  
صحة الفم والاسنان  
حقائق ودقائق  
أصول علم الفلك الحديث  
رسالة النسبة  
الحيام  
الاداب العربية وتاريخها  
الدليل الثاني  
عبدة الشيطان في العراق

معجم البستان  
وثيقة الذردار وقضية البراق  
حظيات لقمان  
لا جديد في الجبهة الغربية  
امكان التهذيب  
على بساط الريح  
التطبيب بالصوم  
الفكرة الزراعية  
مجة الناشئة  
الحصاد الاول  
الماطر

١٩٣٢

كتاب العراق  
ميزان الاكوان ودولاب الزمان  
الصاحب بن عباد  
جماعة أخوان الصفا

ذكرى الامير فؤاد ارسلان  
ديوان الرصافي  
الجاحظ  
فتح الاندلس

سيد قريش  
امراء الشعر العربي في العصر العباسي  
الخطرات  
تفسير الالفاظ الدخيلة

١٩٣٣

الهند — مقالات في التربية والتعليم  
ابن عبد ربه وعقده  
رحلة الى بلاد المجد المفقود  
الاعاصير — آلاء الرحمن في تفسير القرآن  
عام طبقات الارض  
مفكرة القس أسعد منصور  
سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان  
جغرافية سوريا  
جنفيان — انظمة التعليم  
البخيل — سيرة حياتي  
زفرات القلوب — أثم الشعراء  
آداب الطب وحياة الطبيب  
صناعة الرياشي

بول وفرجي  
اهم آثار دمشق  
فن الصحة  
شرح التكميل لحاتمة التسهيل  
كتاب الفلاحة لابن العوام  
عنوان الاريب  
شاهنامة نوبخت  
رحلة الى الشجرين الشجر والمكلا  
القراءة الفريدة  
تلخيص كتاب المقولات لابن رشد  
حاضر العالم الاسلامي  
ذكرى الشعراء — ذكرى الدكتور محمد بن ابي شنب  
\* جبران حياً وميتاً  
العروبة في الميزان — محاضرات في التربية والتعليم على طريق

غرازيلا  
سوريا في فجر التاريخ  
ابو نواس  
ديوان فرحات  
علم الاقتصاد  
الراحل  
علم الطبيعة  
الظما  
الامواج  
مريض الوهم  
كتاب الرثاء  
صلاح الدين وشوقي  
كتاب الشخصية  
امير الشعراء شوقي  
التربية عند العرب  
الكوخ الهندي



١٩٣٤

الارثانية	قاموس لبنان	الاصول العربية لتاريخ سورية
في سبيل الحرية	موجز الاغاني العراقية	في عهد محمد علي
مثلنا الاعلى	تاريخ الصحافة العربية (جزء رابع)	فن الصحة : الجزء الثاني
الحساء العربية أو اربنب بنت	الشرق والغرب	حيات في الغرب
اسحق	استشارات الطبيب الممارس	الحكيم وسلمي
دلال	أركان التدريس	مختار البيان والتبيين للجاحظ
المحوضة القلوية	رحلة الى العراق	محاولات في درس جبران
مجلة الدهور	مصطفى كمال أو المثل الاعلى	تاريخ الوزارات العراقية
أثر قديم في العراق	ابن سعود	فصل الاول
الاسلام والحضارة العربية	تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني	تاريخ نابليون بونابرت
علم الطبيعة	الروافد	الجغرافية العامة الحديثة
علم قياس المثلثات	الاصلاح	الجغرافية الطبيعية

١٩٣٥

علم الامراض الباطنية	تاريخ الصحافة العراقية	الاسلام والحضارة العربية
المعلم الجديد	الادب العربي في آثار اعلامه	معضلة السرطان
عمر ابن ابي ربيعة	من حي الى ميت	جبران خليل جبران
الاسلام الصحيح	مفتاح العقول	أغلاط اللغويين الاقدمين
المدرسة المستنصرية	تاريخ شرقي الاردن وقبائلها	على عتبة الامومة
الزراعة العملية الحديثة	نبات سوريا وفلسطين	فن الجرائم
يوبيل مجلة العرفان	شهر في أوروبا	جولة أثرية

١٩٣٦

شعراء العصور	عمدة الاديب امرؤ القيس	لبنان في عهد الامراء الشهابيين
حوض البحر المتوسط	علم تكوين الجنين	تطور الاساليب النثرية في الادب العربي
الحشة	تنظيم سوريا الاقتصادي	العراق في دوري الاحتلال والانتداب
عبقري	الادب العربي في آثار اعلامه	قصص وأساطير وعادات شعبية لبنانية
اعيان الشيعة	أسباب الحملة المصرية	الحيرة المدينة والمملكة العربية
رحلة الى الهند	شوقي على المسرح	تاريخ غزوات العرب
ديوان الامير شكيب ارسلان	الكيمياء العامة	ميناء البصرة
علم الامراض الباطنية	ضجعة الموت أو بين أحضان الابدية	نفسية الرسول العربي
تاريخ ابن الفرات	الحديث في قواعد اللغة العربية	الاوتار المقطعة
النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان	محمد والقرآن	
	محاضرات في التربية والتعليم	



١٩٣٧

ديا طاسرون طيطيانوس	سوريا	الحكيم وليلى
الامراض الجراحية	عشر قصص	طرق التدريس المثلى
شوقي أو صداقة اربعين سنة	الصبي الاعرج وقصص أخرى	التربية على طريقة دالتن
صور من الحياة في جبل القلمون	القاراني	علم الامراض الباطنة الجزء الثالث

١٩٣٨

القضية الفلسطينية	الحل الهندسية	أرجوحة القمر
عشائر العراق	المعجمية العربية على ضوء الثنائية	نهم
الشرق في الاداب الفرنسية بعد الحرب	والالستية السامية	عمر افندي
مقاييس الكفاءة للاستقلال	السيد رشيد رضا أو أخاء	قيص الصوف
تاريخ ابن الفرات — المجلد	كان ما كان	أفاعي الفردوس
التاسع — الجزء الثاني	المجدلية	ابن سينا الفيلسوف

١٩٣٩

راشدان	تفسير ما بعد الطبيعة	الازليان
ديوان ابن الساعاتي جزء أول	الرجيف	نخب الذخائر في أحوال الجواهر
مقابر الفجر	وهل يخفى القمر	ملخص الكيمياء
مصور الجيش العراقي	كتاب الموسيقى الشرقية والغناء	النواصي
دري فوس	العربي	لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم
تل السندباد	مقدمة في الاجتماع	غيرهم
معلقة الارز	مجموعة نادي القلم العراقي	سيف الدولة وعصر الحمدانيين

١٩٤٠

فلسفة الطب	الفرد الصم وتأثيرها في	ديوان ابن الساعاتي جزء ثانٍ
الفقود العربية وعلم النميات	شخصياتنا	تاريخ حصص
قدر يلهو	الكاظمي	الاعدام
الوعي القومي	النظام الاقتصادي في فلسطين	الادب العربي في ماله وفي ما عليه
عمر ابن ابي ربيعة	الحل الهندسية في الاخبار والآثار	الفلسفة
العوامل الفعالة في الادب العربي	الاندلسية	ملوك العرب
الحديث	سند يعقوب بن شيبه في الحديث	مجلة الحديث والمرحوم اسماعيل
سيف الدولة وعصر	النبوي	ادهم
الحمدانيين	وادي الفريكة	ديوان الشيبيني

ومجموعها ٢٤٦ كتاباً

وقد نشر المقتطف في اجزاء متفرقة من سنة ١٩٣٩ فصولا متممة في «الحركة الادبية في سوريا ولبنان»  
للاديب الشاعر الياس ابو شكة



## فهرس الجزء الرابع

من المجلد التاسع والتسعين

- ١ — ما يكنه المستقبل للانسان  
٢ — الضغط العالي وتأثيره في المادة والاحياء  
٣ — النفط والحرب في أوروبا  
٤ — العرب والعالم
- ٣١٣ حصاد الصيف
- ٣٢٩ الآثار العراقية بين الماضي والحاضر : بقلم كوركيس عواد
- ٣٣٨ فن الحياة : للدكتور ابراهيم ناجي
- ٣٤٤ اقوال تؤثر
- ٣٤٥ علم النفس : للاستاذ سي ، بي ، فوزي نقلها الى العربية حسن السلطان
- ٣٥٣ اثر طاغور في ذهن كاتب انكليزي بعد مقابلته
- ٣٥٦ فوائد الرياضة البدنية في الصحة : للدكتور شوكت موفق الشطي
- ٣٦١ معركة الاصلاح الاجتماعي : لمحمد العشماوي بك
- ٣٦٩ مخاطر الحياة في غواصة في أثناء الحرب
- ٣٧٣ الجنلمان ( قصة مصرية ) : بقلم محمود تيمور بك
- ٣٨٠ ما أسداه الدكتور جون بول الى المساحة المصرية : للدكتور احمد موسى
- ٣٨٥ حديقة المقتطف \* مختارات من ( مي ) رحمة الله عليها ١ — عند قديمي ابي الهول
- ٢ — عائشة عصمت تيمور ٣ — كولمبوس ٤ — شرر وحب
- ٣٩٥ سير الزمان \* الحرب في سنتين . النظام الجديد في اوربا من الوجهة الاقتصادية
- ٤٠٦ باب المراسلة والمناظرة \* يهودية اشبنجلر : للسيد ابو النصر احمد الحسيني الهندي
- ٤٠٩ باب الاخبار العلمية \* العام والحرب وما بعد الحرب . حرية علمائنا سلاح . السياسة خادمة العلم
- القضاء على الجوع والسيف . طرف من أقوال المحاضرين . دستور العلم والعلماء . الموقى
- يسدون خدمة الى الاحياء
- ٤١٧ مكتبة المقتطف \* الصعلوك ، ابوشوشة ، الموكب . ارواح شاردة . ويك عنتر . الثقافة الجنسية
- والامراض . كتب صدرت عن الاقطار الشرقية خارج القطر المصري